وزارة التـــــعليم الـــعالي والبـــحث العـــلمي
جامعة 08 مـــــاي 1945
قالـــــمة

كلـــية الـــعلوم الإنـــسانية والاجـــتماعية
قسم التـــــاريخ والآثـــار
التخصص : التـــاريخ الـــعام

مذكـــــرة مقـــدمة لـــنيل شـــهادة المـــاستر في التـــاريخ الـــعام بـــعنوان :

الدولة العامرية في عهد الحاجب المنصور

(328 هـ . 392 هـ / 938 م . 1002 م)

إعداد الطالب :
زكرياء بشاشحية

إشراف الأستاذ :
رابح أولاد ضياف

لـــــجنة المـــناقشـــــة :

الأســـــــتاذ	الرتـــــــبة	الصـــــــفة	الجامـــــــعة
بلقاسم مرزوقي	أستاذ مساعد " أ "	رئيـــــسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
رابح أولاد ضياف	أستاذ مساعد " أ "	مـــــشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
عبد الحميد بودرواز	أستاذ مساعد " ب "	عضوا مناقـــــشا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنـــــة الجامعية : 1435/1434هـ
2014/2013 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}

سورة يوسف ﴿١١١﴾

شكـــر وعـرفـان

إن الشكر لله سبحانه وتعالى أولا وأخيرا ثم إلى أستاذي الفاضل " أولاد ضياف رابح " الذي كان عونا كبيرا لي أثناء انجاز مذكرتي بنصائحه السديدة وتوجيهاته الرشيدة، فله مني كل التقدير والاحترام .

كما أوجه شكري وتقديري لأساتذة قسم التاريخ والآثار بجامعة 08 ماي 1945 – قالمة – على المساعدات التي قدموها في شتى المجالات .

كما أسدي جزيل شكري إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على جهودهم المضنية في تقدير وتقييم هذا البحث، فلكم مني أساتذتي الكرام تحية الإكبار والتقدير .

وأخيرا اشكر كل من دعمني في انجاز هذا البحث واشكر كل من ساندني ولو بالكلمة الطيبة .

زكـــرياء

إهـــــداء

اهدي ثمرة جهدي إلى اللذان قال فيهما الرحمن عز وجل " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا " .

إلى صاحب القلب النقي حد الصفاء وصاحب الجود العظيم حد العطاء، إلى أبي وجدان القلب ومجرى الدماء، متمنيا من الله عز وجل أن يديمه نعمة دائمة البقاء .

إلى التي قال فيها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم " إن الجنة تحت أقدام الأمهات "، إلى اعز مخلوقة في الوجود والتي لا تتعب بل كانت تمدني حنانا، وكانت السند الذي لم يشتك يوما فكانت عظيمة بما تحمله من كبرياء وعفة " أمي العزيزة " حفظك الله .

إلى من قاسموني ظلمات رحم أمي : فيصل ، رمزي ، معز الدين .

إلى زوجة أخي ومن تحمل مقام الأخت : سهام .

إلى أجمل كتاكيت العائلة : إسراء مرام ، رنيم إكرام .

إلى كافة الأقارب من قريب وبعيد، والى اعز أصدقائي وكافة زملائي، اهدي ثمرة عملي وجهدي .

زكـــرياء

خـطـــة البـحـــث

* المـقـدمـة

* تمـهـيـد : أوضـاع الأنـدلس بعد تـولـي هشـام المؤيد بالله الخـلافة

الفصل الأول : السيـرة الذاتـيـة لمـحمد بـن آبـي عـامـر

أولا : نسبه ونشأته

ثانيا: دخوله للقصر وتدرجه في مناصب الدولة

ثالثا : انفراده بشؤون الدولة وتسميته بالملك المنصور

الفصل الثاني : السيـاسـة الداخلـية للحـاجـب المنـصور

أولا : تنـظيـمه لـلجيش

ثانيا : الـوزارة فـي عهـده

ثالثا : سياسـته فـي القـضاء

الفصل الثالث : السيـاسـة الخـارجية للحـاجب المنـصور

أولا: علاقـاته مع العدوة المغربيـة

ثانيا : جهـاده ضد الممالك النصـرانية

ثالثا : علاقـاته الدبلومـاسية مع ملـوك أوروبا

الفصل الرابع : أهم المظـاهـر الحضارية للـدولة العامـرية في عصره

أولا: الحـياة العلمـية والأدبـية

ثانيا: الوضع الاقتصادي والاجتماعي

ثالثا: الناحية العمـرانية

رابعا : وفـاتـه

* الخـاتـــمة

* ملاحـــق البـحث

* قائمة المصـــادر والمراجع

* الـــفـــهـــرس

فهي سيرة شاب أصبح مفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامي، فقد استطاع إذلال الممالك النصرانية في الشمال وعمل على تأديبهم فبلغت بذلك الأندلس في عهده أقصى اتساع .

وبذلك تستحق سيرة المنصور بن أبي عامر الدراسة باعتباره من عظماء الإسلام، ومن بناة الدول والمجد بفضل الله عز وجل ثم بفضل الخدمات الجليلة التي قدمها لأمتنا، وبما وهبه الله من علم وحرية وفكر، ووراء كل هذا كانت لي الرغبة في دراسة سيرته لما لفترته من أهمية بالغة في أحداث الأندلس الداخلية والخارجية، فاعتبرت فترته مرحلة انتقالية من زمن القوة في عهده إلى زمن الضعف من بعده، فاندثرت الأندلس إلى طوائف متناحرة، وبهذا بدا لي أن هذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة، واعتقد أن سيرة مؤسس الدولة العامرية لم تنل حظا من الدراسة والتحقيق رغم أهمية ومكانة هذا الرجل في التاريخ الأندلسي، كما لم يكن فيما اعتقد موضوع مستهدفا للدراسات الجامعية .

وقد حاولت من خلال هذه الدراسة التعريف بشخصية محمد بن أبى عامر وما تمخض عن فترة حكمه من استقرار شامل للأندلس، ومن توطيد لأركان السلطة المركزية لدولته العامرية التي حكمت الأندلس باسم الخلافة الأموية، وما حققه من انتصارات للمسلمين على حساب الممالك الاسبانية النصرانية، وللقيام بهذه الدراسة نطرح الإشكالية التالية :
كيف كانت أوضاع الأندلس قبل مجيء محمد بن أبى عامر ؟ ومن هو المنصور بن أبى عامر ؟ وكيف حكم الأندلس بالرغم من انه ليس من البيت الحاكم ؟ وكيف كانت علاقاته مع بلاد المغرب والممالك النصرانية في الشمال الاسباني ؟ وما هي أهم انجازاته السياسية والحضارية ؟ .

وقد اعتمدت في انجاز هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ويبقى استعمال هذا المنهج بحسب المادة العلمية المتوفرة وكذا الواقعة التاريخية المطروحة .

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمت البحث إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، حيث تناولت في التمهيد أوضاع الأندلس بعد تولي هشام المؤيد بالله الخلافة وهو ما يزال طفل صغيرا لا يستطيع القيام بمهام الخلافة، وما ترتب عنه من صراع حول السلطة ،أما الفصل الأول فكان

بعنوان السيرة الذاتية لمحمد بن أبي عامر ، وقد قسمته إلى ثلاث نقاط أساسية، حيث جاء في النقطة الأولى نسبه ونشأته، وركزت فيها على نشأته العلمية وورعه الأدبي، وفي النقطة الثانية تعرضت إلى تدرجه في مناصب الدولة، وهذا كان نتيجة لفطنته وذكائه، وأيضا بمساعدة من السيدة صبح أم الخليفة هشام المؤيد بالله والتي كان لها الفضل في بروز نجمه، أما فيما يخص النقطة الثالثة فقد تحدثت عن انفراده بشؤون الدولة وهذا بعد صراع مع مجموعة من المنافسين الذي استطاع أن يزيحهم بالاستعانة ببعضهم على بعض، وتتويج لذلك استقل بمنصب الحاجب وأصبح العقل المدبر في الأندلس مع الإبقاء على الحكم الشكلي للخليفة هشام المؤيد بالله .

أما في الفصل الثاني فقد تعرضت إلى السياسة الداخلية للحاجب المنصور، حيث ابتدأ في الأول بالجانب العسكري، وتنظيمه للجيش لأنه عماد الدولة، فتحدثت عن التنظيمات العسكرية التي ادخلها على الجيش الأندلسي واعتماده على عنصر البربر في تنظيمه للجيش، لنتطرق بعد ذلك إلى اهتمامه بالوزارة والتنظيمات التي ادخلها في هذا الخصوص، وفي نهاية هذا الفصل استعرضت سياسته في القضاء والخطط المتصلة به .

أما بخصوص الفصل الثالث فقد اختص بسياسته الخارجية حيث وضحت في الأول علاقاته بالعدوة المغربية والتي كانت نواة لجيشه كما اشرنا، وتحدثت عن معاركه التي خاضها ضد خصومه السياسيين في المغرب أمثال بلكين الصنهاجي والحسن بن قنون الإدريسي وغيرهم، ثم تطرقت فيما بعد إلى جهاده ضد الممالك النصرانية واهم الغزوات التي شنها مثل غزوه لمملكة ليون وإمارة قشتالة وما ترتب عن ذلك من نتائج حربية، وبعدها عرجت على الجانب الدبلوماسي مع ملوك أوروبا، إذ تحدثت عن السفارات والعلاقات الودية التي كانت بينه وحكام أوروبا .

وتضمن الفصل الرابع والأخير أهم المظاهر الحضارية لدولة العامرية في عهده حيث تحدثت أولا عن الحياة العلمية والأدبية، ووضحت فيها ما تحقق من ازدهار في هذا الجانب وما زخرت به هذه الفترة الخصبة من التاريخ الأندلسي من ترجمة ومناظرات شعرية، ثم انتقلت بعدها إلى الوضع الاقتصادي والاجتماعي وما واكبها من ازدهار ورخاء نعمت به الأندلس في عهده ،

ولا يمكننا أن ندرس الجانب الحضاري من دون ذكر الناحية العمرانية، حيث ذكرت فيها أعمال المنصور بن أبى عامر العمرانية مثل توسعته لمسجد الجامع بقرطبة، وبناءه لمدينة الزاهرة التي أصبحت عاصمة لدولته، وأخيرا تحدثت عن وفاته وركزت فيها على وصيته لابنه عبد الملك قبل مماته وما حملته من نصائح هامة، وأخيرا تطرقت في الخاتمة إلى مجمل النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وكانت كذلك حوصلة للإجابات التي طرحتها في الإشكال وأرفقت هذا البحث بجملة من الملاحق لتوضيح بعض المعالم الجغرافية وبعض نماذج العمارة .

وقد اعتمدت في انجاز هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة ومن هذه المصادر نجد ابن عذارى المراكشي في كتابه " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب "، ويعد هذا المصدر من أهم المصادر في التاريخ الأندلسي، وهذا بما يحتويه من معلومات قيمة عن هذه الفترة من حكم إسلامي في هذه المنطقة، لذلك فهو يعد من أوائل المصادر المعتمدة فقد حفظ لنا الشيء الكثير عن حكم الأمراء والخلفاء في الأندلس وكل ما يخصهم من جهاد وحروب وتطور ونهضة، أما بالنسبة لموضوع البحث بصفة خاصة فلقد حفظ لنا الشيء الكثير عن حياة محمد بن أبى عامر، فهو يذكر لنا أهم أعماله وجهاده ضد الممالك النصرانية، ويذكر لنا بعض رجال دولته البارزين ودوره في تشجيع العلماء وعمله على تطوير قرطبة، فقد اتبع ابن عذارى في كتابه أسلوبا في غاية الوضوح مع التركيز على أهم الأحداث، وتتبع الأمور بطريقة متسلسلة زمنيا، إلا انه يغلب عليه الطابع السردي، إذ نجده ناقلا أكثر منه ناقدا .

وكتاب لسان الدين ابن الخطيب " أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام "، ولهذا المصدر أهمية بالغة في التاريخ الأندلسي، فقد حفظ لنا نصوصا في غاية الأهمية كان بالإمكان أن تضيع وتفقد لولا حفظها لنا في هذا الكتاب، ومن هذه النصوص الخاصة بموضوعنا نجد نص الوصية التي تركها المنصور بن أبى عامر لابنه عبد الملك بشأن الخلافة .

وابن خلدون في كتابه " العبر " حيث أفادني في تغطية جوانب كبيرة عن دولة الإسلام في الأندلس بصفة عامة، وعن حكم الدولة العامرية باسم الخلافة الأموية في الأندلس بصفة خاصة بأسلوب في غاية الاختصار والتوضيح والتركيز، فقد حدثنا عن جهاد المنصور بن أبى عامر ضد الممالك النصرانية في الشمال الاسباني، وعن الكثير من مجهوداته ومحاولاته في تطوير ونهضة بلاد الأندلس في جميع المجالات .

وكتاب المقري " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " ويعتبر هذا المصدر في التاريخ الأندلسي من أمهات الكتب التي لابد من الاعتماد عليها، فلقد أوجز لنا أخبارا عن الأندلس نتيجة تجاربه ورحلاته إلى البلاد التي زارها، فدون لنا من خلال رحلاته المتكررة معظم ما يخصنا من أخبار عن المنصور بن أبى عامر إذ غطى لنا جوانب كثيرة عن حياته، فهو يحدثنا عن كل ماله علاقة بالحاجب المنصور منذ أن كان شاب يطلب العلم حتى تسلم الحكم فى الأندلس .

وساهمت كتب التراجم والطبقات في إثراء هذه الدراسة وكان منها كتاب ألحميدي " جذوة المقتبس "، و يعد هذا الكتاب بالنسبة للتاريخ الأندلسي من الكتب المهمة التي حفظت لنا تراجم العلماء الذين برزوا في العلوم الشرعية والأدبية، حيث اعتمدت عليه بتعريف عدد كبير من علماء الأدب بفروعهم المتعددة من نحو وشعر الذين عاصروا وبرزوا في عهد الحاجب المنصور، ويعتبر ألحميدي من المؤرخين القلائل الذين جمعوا في كتاباتهم بين الجانب العلمي والأدبي معا، وأيضا نجد الضبي في كتابه " بغية الملتمس "، إذ أضاف الكثير من التراجم وتبدو أهمية هذا الكتاب بالنسبة لموضوعنا في إبراز تراجم أهل الأدب والشعر والعلم، إضافة إلى الذهبي في" سير أعلام النبلاء "، الذي يعد من أبرز وأشهر كتب التراجم في التاريخ الإسلامي .

ولم تخلو هذه الدراسة من المصادر الجغرافية التي كان حضورها أمرا ضروريا فلا غنى للباحث في التاريخ عن المصادر الجغرافية التي تقدم لنا مادة تاريخية مهمة، ومنها كتاب ياقوت الحموي " معجم البلدان "، وهو معجم جغرافي وضح لنا فيه أسماء ومواقع البلدان والحصون والجبال والأودية ومختلف الأوطان، فهو معجم جغرافي لا يمكن الاستغناء عنه وقد رتب ترتيبا

هجائيا حتى يسهل على الباحث الوصول إلى مبتغاه بأسهل الطرق ومن المصادر الجغرافية الأخرى نجد الحميري في كتابه " روض المعطار في خبر الأقطار "، وكذلك ابن حوقل في " صورة الأرض " .

بالإضافة إلى هذه المصادر الرئيسية هناك عدد أخر من المراجع التي تخدم موضوع البحث ويأتي على رأسها :

محمد عبد الله عنان " دولة الإسلام في الأندلس "، ويعد هذا الكتاب موسوعة علمية قيمة في تاريخ الأندلس، فقد اعتمدت عليه بالنسبة لموضوع بحثي في تغطية الكثير من الجوانب المهمة، خاصة في جانب جهاده ضد الممالك النصرانية واهتمامه بالعلم والعلماء، فكان بذلك كتاب حافلا استوفى جميع النقاط الهامة عن فترة أبى عامر الزاهية .

احمد مختار العبادي " في تاريخ المغرب والأندلس "، يعد هذا الكتاب من المراجع التي حوت تاريخ الإسلام في الأندلس سواء في فترة الإمارة أو فترة الخلافة، وكان مرجعا مهما خاصة فيما تضمنه من معلومات قيمة عن المظاهر الحضارية والتطورات التي شهدتها الأندلس أيام الحاجب المنصور .

السيد عبد العزيز سالم " تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس "، وقد استفدت منه كثيرا خاصة فيما يخص الدولة العامرية، وقد اعتمدت أيضا على كتابه الأخر " المساجد والقصور في الأندلس "، ولاسيما في حديثي عن المنشأة العمرانية في عصر الدولة العامرية، وفيما يتعلق بالمراجع التي اهتمت بتاريخ الأدب الأندلسي والحياة العلمية عموما نجد كتاب " تاريخ الأدب الأندلسي "، لاحسان عباس فقد ساعدني هذا الكتاب في التعرف على الحياة العلمية والأدبية في عهد الحاجب المنصور.

ولا يخلو أي بحث موضوعي من الصعوبات فهي عديدة، ومنها نقص المصادر والمراجع التي تعد مصدر أساسي في كتابة بحث أكاديمي، وبالتالي فقد واجهتني مشكلة في قلة الكتابات

التاريخية التي تناولت هذا الموضوع، وأيضا جل المراجع المتخصصة تتحدث عن عصر الخلافة الأموية بالأندلس بشكل عام، فالكثير منها لم تتحدث عن الدولة العامرية بشكل موسع فمعظمها تتحدث بشكل مختصر ومكرر مما صعب في مهمة البحث .

وفي الأخير أرجو أن أكون قد أسهمت ولو بالقليل في إثراء هذه الدراسة .

تمهيد :

أوضاع الأندلس بعد تولي هشام المؤيد بالله الخلافة

تمهيد : أوضاع الأندلس بعد تولي هشام المؤيد بالله الخلافة

بعد فترة زمنية من خلافة الحكم المستنصر بالله [1] في الأندلس، أوصى فيها بالخلافة من بعده لابنه أبي الوليد هشام [2] وهو ما يزال طفلا صغيرا لم يتجاوز سن العاشرة من عمره وذلك في سنة 365 هـ / 975 م، أي قبل وفاة الحكم المستنصر بسنة واحدة، وأخذت لهشام البيعة من الخاصة والعامة في مدينة قرطبة [3] والمناطق الأخرى المنضوية تحت سلطان الخلافة الأندلسية، [4].

وقد احتاط الحكم لهذا الأمر قبل وفاته وكأنه يعرف مسبقا ما ستؤول إليه الخلافة بعد وفاته، فحاول أن يعمل ما بوسعه لضمان استمرارية الخلافة في يد ولده هشام المؤيد بالله، فجمع كل من يثق بهم من كبار رجال دولته وكتب له العهد أمامهم وأشهدهم على ذلك واخذ منهم العهود والمواثيق لمؤازرة ابنه الخليفة الصغير ومساعدته في تسيير شؤون الدولة عندما يفرغ له ذلك [5]

---

(1) الحكم المستنصر : هو أبو العاصي الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الملقب بالمستنصر بالله وهو عالم بالفقه والأنساب تولى الخلافة بعد وفاة أبيه الناصر وذلك سنة 350 هـ/961 م، وهو ابن السبع و أربعين سنة استمرت خلافته خمس عشر سنة وخمسة أشهر توفي سنة 366 هـ / 976 م . عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان،مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1962 ، ص 59 .

(2) هشام المؤيد بالله : أبو الوليد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الملقب بالمؤيد بالله أمه صبح البشكنشية . محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد وآخرين ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 11، 1996، ج 17، ص 131 .

(3) قرطبة : مدينة أندلسية اسبانية عريقة ترجع إلى العصر الروماني وهي عاصمة الولاية الأندلسية . محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي ،القاهرة، ط 2، 1997، ص 18 .

(4) عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط 2، 1999، ص 217 .

(5) نفسه، ص 217 .

لكن هذه العهود والمواثيق ضرب بها عرض الحائط بعد وفاة الحكم مباشرة وذلك سنة 366 هـ / 976 م فظهرت بوادر الخلاف والانشقاق بينهم، فرجال الدولة يرون أن تولى هذا الصبي الخلافة سيكون في مصلحتهم، لأنهم سيصبحون حكاما فعليين في الدولة نظرا لصغر سنه ، بينما الجند يرون غير ذلك فقد كانوا يفضلون رجلا مكتملا الصفات والرجولة أفضل من أن يكون على رأس الدولة صبي قاصر لا يفقه في سنن الحكم شيء، وأما العامة فكانوا يريدون من يبدل عسرهم يسرا [1].

وأصبح الأمر صراعا بين حزبي العسكريين والوزراء، فالعسكريون من أمراء الصقالبة(2) ورجال الجيش تحت زعامة اثنين من كبار الصقالبة وهما كل من فائق وجؤذر، قرروا تنحية هشام بن الحكم وهذا لصغر سنه وتولية عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر، أما حزب الوزراء بزعامة الحاجب جعفر بن عثمان ألمصحفي (3) فقد قرروا المحافظة على عهدهم للخليفة المتوفى، فحافظوا على وصية الحكم المستنصر والتي تنص على تولية ابنه هشام الخلافة الأموية في الأندلس ، وانتهى هذا الصراع بانتصار حزب الوزراء على الصقالبة وهذا بتدبيرهم مؤامرة أدت باغتيال المغيرة المرشح الأكبر للصقالبة وهكذا خلا الجو لهشام بن الحكم(4).

غير انه لم يكن للخليفة الجديد في الأمر شيء تقريبا وهذا لصغر سنه، فقد سيطرت عليه أمه صبح البشكنشية (5) في بادئ الأمر، فأخذت الوصاية على ولدها واكتسبت بذلك صفة

---

(1) احمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ص 223 .

(2) الصقالبة : يسمون اليوم السلاف، كانوا من الرقيق وفدوا إلى الأندلس من بلاد الفرنجة، سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 58 .

(3) المصحفي : هو أبو الحسن جعفر بن عثمان الوزير الحاجب المعروف بابن ألمصحفي من برابر بلنسية ، يعتبر من أهل العلم والأدب، استوزره الحكم المستنصر بالله، توفي عام 372 هـ / 982 م . عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 62 .

(4) احمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 223 .

(5) صبح : كانت جارية نافارية وصبح ترجمة لكلمة اورورا الفرنجية ومعناها الفجر ، كانت فتاة فائقة الجمال فأعجبت الحكم المستنصر فتزوجها . محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 200 .

الشرعية وذلك في الاستئثار بالسلطة ، وهي التي تمتعت سابقا بالحكم في بلاط قرطبة حيث كان يثق بها الحكم المستنصر ومعجب بإخلاصها وحزمها وكان يستمع لرأيها في معظم الشؤون (1) .

وفي ظل هذه الأحداث كانت بلاد الأندلس في أحسن أحوالها وكانت مستقرة عسكريا واقتصاديا وأوجز صورتها آنذاك ابن الخطيب بقوله " بويع ولي العهد هشام المؤيد بالله والخلافة قد بلغت المنتهى ، وأدركت الجنى وبلغ طورها وانتهى دورها فكانت كمامة ثم زهرة ثم بسامة ثم ثمرة بهية ثم فاكهة شهية ...." (2)، أما بخصوص الخليفة هشام المؤيد بالله فما كان على صورة البلاد من النضوج والكمال والمقدرة ولا كان رجل تلك المرحلة وقال فيه ابن الخطيب " إذ كان في نفسه وأصل تركيبه مضعفا مهينا مشغول بالنزهات ولعب الصبيان والبنات وفي الكبر مجالسة النساء ومحادثة الاماء ، يحرص بزعمه على اكتساب البركات والآلات المنسوبات ....." (3) .

ونظرا لهذا فلم يكن للخليفة هشام المؤيد في السلطان من شيء لا من قريب ولا من بعيد، وفي ظل هذا الضعف للخليفة سيطرت عليه أمه كما اشرنا، ولعبت دورا بارزا في ظهور شخصية كان لها دور أساسي في الأندلس ألا وهو محمد بن أبي عامر والذي كان له دور مهم قبل استلام هشام المؤيد بالله للخلافة ، حيث كان ضمن صف المصحفي في صراعه على من يستلم الخلافة بعد وفاة الحكم المستنصر والذي استطاع فيما بعد بأن يسيطر على الخليفة وأمه بفضل ذكائه المتوقد ودهائه وحزمه فكانت له شؤون الخلافة (4).

وأصبحت الفترة الزمنية من 366 هـ / 976 م إلى غاية 399 هـ / 1009 م، ما هي إلا تاريخ أسرة جديدة تمكنت من فرض وجودها وهي ليست من البيت الحاكم، وإنما ساعدها تاريخ الطموح و حسن الطالع لمؤسسها الأول محمد بن أبي عامر، إذ استطاع أن يستولي على

---

(1) لسان الدين محمد بن الخطيب: أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف ، بيروت، 1956، ص 43 .

(2) نفسه، ص 43 .

(3) نفسه ، ص 58 .

(4) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 218 - 219 .

أمور الدولة وان يتصرف فيها بيد من حديد، فكان وراء هذا دولة عامرية داخل الإطار الشرعي للخلافة الأموية في الأندلس ، امتدت طيلة أيامه وأيام ولديه من بعده، فكان عمرها نحو ثلاثة وثلاثين سنة، حتى أن المؤرخين أرخوا لهذه الفترة بتاريخ الدولة العامرية، فمن هو محمد بن أبي عامر ؟(1).

(1) نفسه، ص 219 .

الفصـــل الأول :

السـيرة الذاتيـة لمحـمد بن آبي عامـر

أولا : نسبـــه ونشـــأته

ثانيا : تدرجـــه في منـــاصب الدولـــة

ثالثا : انفراده بشؤون الدولة وتسميته بالحاجب المنصور

أولا : نسبه ونشأته

هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، وهو من أسرة عربية قديمة يمنية الأصل ، تنسب إلى قبيلة معافر اليمنية(1)، دخل جده عبد الملك إلى الأندلس مع طارق بن زياد واظهر شجاعة في بعض العمليات العسكرية في الجزيرة الخضراء(2) فكوفئ عليها باقتطاعات جليلة في بلدة طرش التي تقع على واد أره في شمال شرق الجزيرة الخضراء ، التي ولد بها محمد بن ابى عامر سنة 328 ه / 938 م(3) .

برز من عائلته بعض الولاة والقضاة والعلماء ، كان والده عبد الله من رجال العلم والدين، أدى فريضة الحج ومات بمدينة طرابلس وهو في طريق العودة ، أما والدته بريهة بنت يحيى التميمي فكانت أيضا من أسرة عربية مشهورة بقرطبة تعرف ببني البرطال (4).

نشأ محمد بن عبد الله بن أبي عامر نشأة حسنة وكان منذ طفولته فتى طموحا ذو همة عالية ويتوقع لنفسه مستقبلا عظيما ، ولما كانت قرطبة تمثل النهضة الحضارية والعلمية بوجه خاص كان هدفه الذهاب إليها، حيث كان ملوك أوروبا يوفدون أبنائهم لطلب العلم فيها فهي بلاد العلم والعلماء والقوة والمجد في ذلك الزمان (5) فشد رحاله إليها طالب للعلم والأدب فدرس الحديث هناك ومهر فيه واظهر نبوغا في دروسه وما تلقاه من علوم، وكان من أساتذته الأديب

---

(1) ابن الخطيب : المصدر السابق، ص 59 .

(2) الجزيرة الخضراء : تقع وسط مدن الساحل الجنوبي واقرب مدن الأندلس واقرب مدن الأندلس مجازا من العدوة المغربية وهي أول ما فتح في الأندلس . محمد بن عبد المنعم الحميري : روض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 2، 1985، ص 74 .

(3) احمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 226 .

(4) نفسه، ص 226 .

(5) سعد عبد الله صالح البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس 928 م – 1030 م، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، 1997 ، ص 80 .

على يد العلامة أبي بكر بن معاوية القرشي(1)، وكان محبا لقراءة التاريخ لما فيه من سير الذين بلغوا مراتب المجد رفعة، فكان أهم ما يستدعي انتباهه في هذه الأخبار الغابرة صور المخاطرات التي قام بها أولئك الرجال الذين نشأ اغلبهم في طبقات دون طبقته بكثير و تدرجوا في المناصب حتى بلغوا أسمى المراتب، فاتخذهم مثلا يحتذي به، فمن صفاته انه كان لا يكتم مطامحه عن اقرأنه مما جعلهم يصفونه بالمجنون وذلك لتصريحه لهم بأن المستقبل سيشهد إبراز مواهبه(2).

وهناك مثلا نقلته لنا المصادر تبين مدى اعتزازه بنفسه وتطلعه لحكم الأندلس، رواه لنا ابن الخطيب حيث كان محمد بن أبي عامر مع بعض زملائه يتناولون غدائهم في حديقة بضاحية من ضواحي قرطبة، واستبدت بهم النشوة فمضوا يتفكهون بالحديث، فقال لهم محمد بن أبي عامر، ماذا ترون إن صارت مقاليد أمور هذا البلد في يدي يوما ما ؟ فضحك أصحابه لهذا الخاطر ثم تابع كلامه قائلا لهم في هدوء ليختر كل منكم خطة أوليه إياها إذا أفضى إلي الأمر، فقال له ابن عمه عمر عسقلاجة (3) توليني المدينة، وقال ابن الحسن تولني القضاء بجهتي، وهو قضاء منطقة كورة رية (4) انه ليعجبني التين الذي يجنى منها، وقال ابن المارعزي تولني حسبة السوق فانني أحب هذا الإسفنج الموجود في الأسواق، وقال موسى ابن عزرون إذا أفضى إليك الأمر يا صاحبي فأمر أن يطاف بي في قرطبة على حمار ووجهي إلى الذنب وآذا مطلي بالعسل ليتجمع علي الذباب والنحل، فلما تولى محمد بن ابي عامر مقاليد السلطة في الأندلس حقق لهم ذلك ما عدى موسى بن عزرون الذي قال له أغرمني أنا مالا عظيما وافتكرني

---

(1) نفسه، ص 80 .

(2) رينهرت دوزي : المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994 ، ج 2، ص 73 .

(3) عسقلاجة : او الحكم عمر بن ابي عامر بن محمد بن عبد الله المعافري القحطاني ولاه الحاجب المنصور على المغرب ثم تخلص منه بعد ان اخذ عمر يستنقص من هيبة المنصور ويغض عنه الكثير من الأمور المتعلقة بالعدوة المغربية . خير الدين الزركلي : الأعلام، دار العلم للملايين ، بيروت، ط 15، 2002 ، ج 5، ص 80 .

(4) كورة رية : كورة من كور الأندلس و قبلي قرطبة ، نزلها جند الأردن من العرب وهي كثيرة الخيرات . الحميري: المصدر السابق، ص 79 .

لقبح ما كنت قد جئت به(1)، فهذه رواية عجيبة تحكي لنا بداية حياة محمد بن أبي عامر التي بدأها مغمورا مجهولا ، توضح لنا فيها مدى تطلعه ورؤيته للمستقبل(2).

فلما أنهى دراسته بقرطبة دفعه السعي لكسب العيش إلى أن اشتغل بوظيفة صغيرة في محكمة قرطبة ، وكان الذي يشغل منصب القضاء يومئذ ابن سليم والذي كان من أحسن القضاة الذين شهدتهم قرطبة(3)، ثم بعدها افتتح دكان صغيرا بالقرب من مدخل قصر الخليفة يكتب فيه الرسائل والعرائض لأصحاب المصالح، فلفت بذلك نظرا من في القصر بأسلوبه الرشيق وأدبه الرفيع وعباراته الأنيقة والرفيعة، وبهذه البدايات المتواضعة لمحمد ابن أبى عامر بدا نجمه يبرز تدريجيا على مغدار فطنته(4).

---

(1) ابن الخطيب : المصدر السابق، ص 77 – 78 .

(2) رينهرت دوزي : المرجع السابق، ص 74 .

(3) نفسه، ص 74 .

(4) عبد المجيد نعنعي : تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، ص 424 .

ثانيا : دخوله للقصر وتدرجه في مناصب الدولة

اختلف الكثير من المؤرخين في التعريف بكيفية اتصال محمد بن أبي عامر لأول مرة بأوساط الحكم في قرطبة ، فقيل إن الخليفة الحكم المستنصر استخلفه أول مرة على قضاء كورة رية ثم بعدها تصرف في وكالة صبح أم هشام (1).

وقال آخرون أن الفضل في دخوله للقصر يرجع إلى بعض فتيان الصقالبة الذين أعجبوا بقوة أسلوبه وإبداعه عندما كان كاتب للرقاع بجانب قصر قرطبة حيث قدموه إلى السيدة صبح فاستحسنته فطلبت من الحكم المستنصر أن يعينه في إدارة أملاكها(2).

وقيل أيضا أن الاتصال الأول لابن أبي عامر بقصر الخلافة بدأ حين رشحه الحاجب ألمصحفي للخليفة، لكي يكون وكيلا لولي العهد عبد الرحمن بن الحكم، فيقوم بخدمته وخدمة أمه السيدة صبح، وفي كل الحالات فقد قام محمد بن أبي عامر سنة 356 هـ / 967 م، بوظيفة مدبر أملاك الطفل عبد الرحمن بن الحكم بمرتب قدره خمسة عشر دينارا في الشهر، واظهر في ذلك كفاءة ممتازة وعرف كيف يستحوذ على رضا السيدة صبح مما جعلها تشيد بإعجابها به(3).

وبعد سبعة أشهر من عمله هذا رفع إلى منصب مدبر خطة السكة ثم أضيفت إليه مهمة الإشراف على الخزانة العامة وهو منصب حساس يتطلب الفطنة والحكمة، وبعدها أيضا تولى منصب قضاء اشبيلية، وبعد وفاة الأمير عبد الرحمن لم ينته عمله في ذلك بل صار مدبرا لأملاك الخليفة هشام(4).

---

(1) أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط 1، 1979، ق 4 ، م 1، ص 60 .

(2) احمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968، ج 1، م 2، ص 399 .

(3) عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق ، ص 424 .

(4) نفسه، ص 424 .

وهكذا استطاع محمد بن أبي عامر أن يصل إلى ارفع وظائف الدولة في أعوام قلائل ويرجع الفضل في هذا التقدم السريع، أولا إلى موهبته وحنكته الباهرة، وثانيا إلى عطف السيدة صبح وحمايتها له، ويرجع جزء من إعجابها له إلى الهدايا التي كان يقدمها لها، فأتاها بأشياء لم يعهد مثلها، ومن تلك الهدايا نجد قصر من فضة صنعه لها وقت كان في دار السكة حيث كلفه مالا جسيما ونقله إليها أمام الملأ من داره إلى قصر قرطبة ليراه العامة في مشهد لم يعهد به ولم ير مثله من قبل، فكانت هدية بديعة لم تر العيون أعجب منها، غير أن هذه الهدية كادت أن تكلفه منصبه(1).

فالخليفة الحكم المستنصر لم يكن غائبا عن هذا كله ، فقد سعي إليه بعض خصوم محمد بن أبى عامر واتهموه بأنه يبدد في أموال الخزانة العامة التي عين عليها فاستغل منصبه في شراء التحف والإنفاق على أصدقائه، فأمره الحكم المستنصر أن يقدم إليه حساب الخزانة العامة ليتحقق من سلامتها وبهذا وقع محمد ابن أبى عامر في مأزق كبير إذ كان في الخزينة عجز، فسارع في إيجاد حل، فسعى إلى صديق أبيه الوزير ابن حدير ليخرجه من أزمته، فأغاثه ابن حدير بماله مقابل إرجاعه له عند تيسر الأمور، وبهذا تقدم بن أبى عامر إلى الخليفة الحكم المستنصر بريء الذمة ، فزالت شكوك الخليفة وتوطدت ثقته فيه، واستمر محمد بن أبى عامر متمتعا بنفوذه، ومن خلال هذا كله مازال حريص على عطف السيدة صبح، وفي نفس الوقت يجتهد أيضا في إرضاء وكسب ثقة الحاجب ألمصحفي لان بهم تتحقق غايته التي يطمح إليها ، فشكل حوله حزب من الأصحاب والأنصار بفضل براعة وسائله وأساليبه(2).

وبعد موت الخليفة الحكم المستنصر ازداد نفوذه ولعب دور مهم في اخذ البيعة لهشام ابن الحكم، وتزامن مع هذه الأحداث دخول نصارى الاسبان إلى الأراضي الإسلامية بالأندلس،

---

(1) راغب السرجاني : قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 1، 2010، ج 1، ص 252 .

(2) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 203 .

مستغلة في ذلك موت الخليفة الحكم المستنصر، وأمام هذا كله تردد الحاجب ألمصحفي وأكابر الدولة عن مجابهة الخطر الصليبي، مما جعل محمد بن أبى عامر الذي كانت له الخبرة في جميع الميادين عدى الخبرة الحربية، بأن يعرض على الحاجب الخروج على رأس حملة لرد هذا الخطر مقابل اختياره لمن يشاء من الرجال وان يتم تجهيز الغزوة بمائة ألف دينار، فكان له ما أراد(1).

وفي سنة 366 هـ / 977 م، خرج محمد بن أبي عامر بجيش من العاصمة قرطبة فسار شمالا إلى أراضي قشتالة(2)، ثم إلى ناحية شلمنقة حيث ضرب حصار شديد على حصن الحامة فانتصر عليهم بعد ثلاثة وخمسين يوما من خروجه من قرطبة، فعاد إليها مكللا بالنصر والفخر، وبهذا كانت الغزوة التي نجح فيها محمد بن أبي عامر محطة هامة على درب تقدمه ومنعرج حاسما في استئثاره بالسلطة ، لأنها أبرزت كفاءته كقائد عسكري وأظهرته أمام الأندلسيين بمظهر القادر الوحيد في الدولة على متابعة سياسة الناصر والحكم المستنصر في ممارسة القوة والحزم بوجه الممالك النصرانية في ظل خلافة هشام المؤيد بالله، وهكذا عرف محمد ابن أبي عامر أن يستغل انتصاره إلى ابعد الحدود(3).

---

(1) عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق ، ص 428 .

(2) قشتالة : إقليم عظيم في الأندلس بالقرب من طليطلة . ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ج 4، ص 352 .

(3) عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق ، ص 429 .

ثالثا : انفراده بشؤون الدولة وتسميته بالملك المنصور

بعد الانتصار الذي حققه محمد بن أبي عامر على نصارى الاسبان ، استشعر في نفسه القوة وطول الباع ، فأخذ يتطلع إلى تبوء أعلى مكانة في الدولة ، وهو أمر لا يمكن تحقيقه إلا بإزاحة كل منافسيه من السلطة(1)، وفي ظل هذا التطلع الكبير لابن أبى عامر كانت في هذا الوقت السلطة الفعلية في يد الصبي هشام المؤيد بالله، فكان ميالا بطبيعته وصغر سنه إلى اللهو، حيث كان يقضي جلا وقته في اللعب واللهو، فكان موقف كل من أمه السيدة صبح ومحمد بن أبى عامر مؤيدة لهذه الطباع، حيث ساندوه على ميوله السيئة وهذا راجع لمصلحتهم في ذلك (2).

ومنذ أن ولى هشام المؤيد بالله الخلافة حجر عليه محمد بن أبي عامر ، ولم يسمح لأحد من غيره برؤيته آو مخاطبته، حتى غدا هشام شبه معتقل أو سجين وبهذا سيطر محمد بن أبي عامر على السلطة الفعلية في الأندلس، ولكي يكتمل مخططه لابد له أن يقضي على كل سلطة تعترض سبيله، وفي هده الوضعية كانت قوة أخرى موجودة ويحسب لها ألف حساب ألا وهم الصقالبة، حيث كان عددهم نحو ألف، وكان كل من الحاجب ألمصحفي ومحمد بن أبي عامر على خلاف معهم وهذا بسبب تعارضهم معهم في مسالة من يخلف الحكم المستنصر(3).

فقد فشل الصقالبة في تولية المغيرة بن عبد الرحمن، ومن هذا الاختلاف الذي وقع بات كل من الحاجب ألمصحفي ومحمد بن أبي عامر يخشون دسائسهم وغدرهم ، وبقيت العداوة قائمة بينهم حتى بلغهم أن فريق من فتيان الصقالبة وعلى رأسهم فائق وجوذر يدبرون مؤامرة لقلب نظام الحكم، فاتخذ الحاجب ألمصحفي الاحتياطات ووضعهم تحت الرقابة وأغلق الباب الحديدي المؤدي إلى القصر الذي كانوا يستعملونه في دخولهم إليه، فاستعان الحاجب

---

(1) محمد عبده حتامله : الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية، الأردن، 2000، ص 401 .

(2) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997، ق 2، ص 526.

(3) نفسه، ص 526

ألمصحفي وبن أبى عامر بمجموعة من أصحاب جؤذر وفائق وهذا للخدمة في القصر، فكانوا حوالي خمسمائة فتى وهذا لأضعاف قادتهم وشن العداوة والتفرقة بينهم وانحاز محمد بن أبى عامر إلى قوة كانت مهمشة وهم بنو برزال أصحاب الحاجب ألمصحفي سابقا فقوى بهم أمره (1).

وفي ظل هذه التطورات لم يمض إلا القليل من الوقت حتى استقال زعيم الصقالبة الفتى جؤذر، وبذلك شعر الصقالبة بأن نجمهم قد أفل وسلطانهم قد انهار فسرى بينهم التذمر، فاجتمع المتمردون حول فتى من زعمائهم يدعى درى، فبلغ ذلك كل من الحاجب المصحفي وابن أبى عامر فاتفقوا على إزالته، فدعوه إلى بيت الوزارة لاستفساره عن أمور نسبت إليه، فلما قدم الفتى درى ورأى كثرة الجند من بني برزال شعر بالشر فأراد العودة، فمنعه ابن أبى عامر من ذلك فهجم الفتى عليه وأراد أن يبطش به، فصاح محمد بن أبى عامر ببني برزال فهرعوا إليه، وانهالوا على الفتى درى ضربا وحمل إلى داره وقتل في نفس المساء، ورأى ابن أبى عامر الفرصة مواتية لسحق الصقالبة ، فأمر كبيرهم فائق وباقي زعمائهم بالتزام دورهم، وساهم في تفريق شملهم وبعد ذلك طاردهم وفشي فيهم بالقتل والنفي حتى اهلك الكثير منهم، وبذلك انهار سلطانهم وامن الحاجب وزميله ابن أبى عامر من شرهم وتقلد ألمصحفي آمر القصر والحرم بدل منهم(2).

وفي آمر خروج الصقالبة من القصر عبر الشاعر سعيد الشنتريني عن فرحته بقصيدة اظهرا فيها إعجابه بما قام به الحاجب ألمصحفي ومحمد ابن أبي عامر من عمل طيب في الكف من شرهم بقوله :

اخرج من قصر أمام الهدى ... كل فتى مبسط جائر

فمن رأينا منهم قال ... لامساس فعل الناس بالسامر(3).

---

(1) نفسه، ص 526 .

(2) نفسه، ص 527 .

(3) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ط 5 ، 1998 ، ص 264 .

أ- **صراعه مع الحاجب جعفر بن عثمان ألمصحفي :** بعد انتهاء ابن أبى عامر من خطر الصقالبة، راح يكمل مخطط التصفية الذي سيمهد له السبيل إلى المنصب الأول في الأندلس، فاتجه بتفكيره إلى حليفه القوي المتمرس ذو القوة والسلطان الحاجب ألمصحفي، غير أن القضاء عليه لم يكن بالأمر الهين وهو الذي كان يسند إليه الخليفة الحكم المستنصر في اخطر مهام الدولة، عندما كان منهمكا في مطالعة كتبه الواحد تلو الأخر(1)

واكي يتخلص محمد بن أبى عامر من الحاجب ألمصحفي كان لابد له من حليف قوي، ولذلك بدأ محمد بن آبى عامر بالتقرب من القائد غالب بن عبد الرحمن قائد الجيش و أمير الثغور الذي يحظى بمكانة كبيرة في الدولة، وكان اختيار ابن أبى عامر للقائد غالب الناصري من دون غيره، لما يحمله الأخير من عداوة ومنافسة للحاجب ألمصحفي، فأول خطوة قام بها مصاهرته للقائد غالب حيث تزوج بابنته أسماء والتي كان يريدها الحاجب ألمصحفي لابنه غير أنها في الأخير كانت لمحمد ابن أبى عامر(2).

واخذ بعدها يخطط للإطاحة بالمصحفي بمساعدة القائد غالب، فكانت خطوته التالية تولي قيادة الجيش في قرطبة وإسناد قيادة جيش الثغر للقائد غالب الناصري، وقادا ابن أبى عامر غزوته الثانية لبلاد النصارى سنة 366 هـ / 976 م، واجتمع مع غالب الناصري بمدينة مجريط (3)، وهناك رسما خطة للقضاء على ألمصحفي وقد افتتحا في هذه الغزوة حصن موله(4) وغنم المسلمون أوسع غنيمة(5)، فبينما كان غالب الناصري يودع أبن أبى عامر بعد تلك الغزوة

---

(1) عدنان قائق عنبتاوي : حكايتنا في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1، 1989، ص 86 .

(2) احمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص 228 .

(3) مجريط : مدينة بالأندلس وهي مدريد حاليا ، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، وهي مدينة صغيرة وقلعة منيفة كان لها في زمن الإسلام مسجد جامع وهي بالمقربة من طليطلة .الحميري : المصدر السابق، ص 523 .

(4) حصن موله : هو حصن من حصون إمارة قشتالة يعتقد الباحث الاسباني اوليفر اسين، أن هذا الحصن هو المنطقة المسماة ألان بيلاميلا وهي بالقرب من سرية . كمال السيد أبو مصطفى، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز إسكندرية للكتاب، مصر، 1997 ، ص 127 .

(5) محمد عبده حتاملة : المرجع السابق ، ص 405 .

الناجحة، قال له سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم وذكر جليل، يشغلهم السرور به عن الخوض فيما تحدثه من قصة فإياك أن تخرج عن الدار حتى تعزل أبى جعفر وتقلدها من دونه(1).

وكان وراء هذا التشجيع من غالب انه يتمنى في ان يصبح يوما حاجب للدولة وهذا لما بذله من جهود وانتصارات عسكرية في سبيل حماية بلاد الأندلس الإسلامية، لكنه خاب أمله بتعيين ألمصحفي حاجب فكتم غيظه إلى أن كاشفه أبى عامر بعداوته للمصحفي أيضا مما جعلهم يتفقون على تنحيته(2).

وبعد تفارق الرجلان من الغزوة، قام القائد غالب الناصري بإرسال كتاب إلى الخليفة هشام المؤيد بالله يزكي فيها ابن أبى عامر وينسب إليه السعي والاجتهاد إليه، فما كان من الخليفة إلا أن رفع منزلة محمد ابن أبى عامر، حيث قلده بذلك أزمة قرطبة كلها وولاية الشرطة إضافة إلى قيادة الجيش، وبذلك ازداد نفوذ ابن أبى عامر وتراجع على أثره سلطان الحاجب ألمصحفي الذي لم يكن في يده من حيلة إزاء هذا(3).

وقام محمد ابن أبى عامر سنة 367 هـ / 977 م، بغزوته الثالثة ضد نصارى الاسبان اجتمع مع صهره غالب الناصري فافتتحا بعض الحصون وهاجموا أراضي شلمنقة، فعاد بعدها أبى عامر مكللا بالنصر فزادا عند الخليفة مكانة ، فقلده خطة الوزارتين فسوى فيها بينه وبين غالب ورفع راتبه إلى ثمانين دينار في الشهر وهو راتب الحجابة، وكان ذلك إيذانا بالخطوة التالية (4).

وبهذا أيقنى الحاجب ألمصحفي بخطر ابن أبى عامر على منصبه وعرف نواياه، وفي هذه الأثناء اقبل الناس على ابن أبى عامر فازداد شهرة في أوساطهم، بينما قابله ذلك بتراجع نفوذ

---

(1) ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج 2، ص 266 .

(2) انيس النصولي : تاريخ الدولة الأموية في قرطبة، المطبعة العصرية ، بغداد، 1926، ج 1، ص 129 – 130 .

(3) محمد عبده حتاملة : المرجع السابق ، ص 405 .

(4) نفسه، ص 405.

ألمصحفي، حيث أصبح يذهب إلى قصر الخلافة ويرجع دون حرس، فلم يعد له من الحجابة سوى اسمها ومع ذلك مازال محمد ابن أبى عامر يفسد بين الخليفة والحاجب ألمصحفي، إلى أن قام الخليفة بعزله(1).

ونسبت إليه العديد من التهم منها تبديد المال العام وتجبر بعض أهله على العامة خاصة ابنه، فقبض عليه وزج به في السجن فكان من مواصفات ألمصحفي انه شاعر من الدرجة الأولى، حيث اخذ يستعطف محمد ابن أبى عامر بالقصائد الشعرية لكي يطلق سراحه ومنها نجد

هبني اسات فأيــن العـفو والكـــــرم	إذا قادني نحوك الإذعان والنـدم
ياخـير من مـدت الأيـدي إليـه امـــا	ترثي لشيخ نعاه عندك القلـــم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر	إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

غير أن محمد ابن أبى عامر لم يلتفت إليه ، بل بالغ في إذلاله وبقي ألمصحفي في سجن الطيف إلى أن توفي فيه، وتقول روبات أخرى انه قتل خنقا في هذا السجن(2).

ب- خلافه مع القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري :

لم يتبقى لمحمد بن أبى عامر من منافس في دولة الأندلس بعد سجن ألمصحفي غير صهره غالب الناصري قائد الثغر الأعلى، ومثلما استعان أبى عامر بغالب الناصري في صراعه مع الحاجب ألمصحفي، سلك نفس الطريق مع خصمه القادم القائد غالب، فاستعان هذه المرة بابن جعفر بن علي بن حمدون، وهو قائد مغربي شديد البأس وجليل القدر يقيم في العدوة المغربية، احضره ابن أبى عامر واستوزره ووضعه في مقام الأخ وقدمه على كفائته، ونية ابن أبى عامر في ذلك هو أن يكون له نصير في صراعه مع القائد غالب والذي يعتبر المنافس الوحيد له ، ولما علم غالب بقدوم جعفر بن حمدون و استوزاره، أدرك النية من وراء استقدامه، ففسد ما بينهما(3).

---

(1) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج 2، ص 266 .

(2) احمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص 228 .

(3) محمد عبده حتاملة : المرجع السابق، ص 407 .

فأراد القائد غالب أن يتخلص من ابن أبى عامر وان يكون هو المبادر في ذلك قبل أن ينتظر ويكون آمر عزله محتوم كما فعل مع ألمصحفي، فقام باستدعاء ابن أبى عامر إلى وليمة وهو في احد غزواته، وكان هذا في قلعة بانتسيه بمكان إقامته، فلما قدم إليه أبى عامر اخذ غالب يعاتبه على ما فعل وعلى سياسته في الدولة واشتد بينهم الخلاف، فما كان من غالب إلا أن اخرج سيفه وضرب به أبى عامر متسبب له في جراح(1)، فكاد أن يقضي عليه لولا فراره، وبذلك سار أبى عامر إلى مدينة سالم(2) حيث قصر غالب، فاستولى عليه وعلى جميع ممتلكاته، وكانت ردت فعل غالب الناصري من فعلت أبى عامر هو استنجاده ببعض ملوك النصارى لملاقاته في معركة فاصلة وبذلك اعتبرت نقطة سلبية في مسيرته البطولية (3).

فوقعت المعركة بينهم سنة 371 هـ / 981 م، فبرز محمد بن أبى عامر مع جيشه الأندلسي في اليسار وحليفه جعفر بن علي بن حمدون مع جيشه البربري من جهة اليمين ضد جيش القائد غالب المدعم بجيش نصارى الاسبان ، فهاجم القائد غالب جيش أبى عامر وحليفه من الميمنة والميسرة، فاستمرت المعركة ثلاثة أيام، وهناك رواية تصف لنا اندهاش أبى عامر من عزيمة القائد غالب الذي كان متفوق عليه في بادئ الآمر(4).

وفي أثناء القتال رفع القائد غالب الناصري يده إلى السماء وقال " اللهم إن كنت تعلم أن بقائي أصلح للمسلمين من بقاء محمد ابن أبى عامر فأهلكه وانصرني عليه، وان كان هو أولى بذلك مني فأنصره علي وأرحني ...."، ولم تستمر المعركة سوى فترة قصيرة حتى سقط القائد

---

(1) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 2008، ص 333 .

(2) مدينة سالم : هي مدينة قديمة البنيان عرفت في العصر الروماني باسم اوسيلس ، تقع على مسافة خمسين ميلا شرقي وادي الحجارة على طريق سرقسطة و مجريط ، يصنفها الرازي بأنها من المدن الحصينة بالأندلس، ويضيف بأنها تعرضت للتخريب اثناء حملة طارق بن زياد وعمرها المسلمون بعد الفتح وكان اول معمريها سالم ابن ورعمال المصمودي ، وهو بربري من القادة في جيش طارق .كمال السيد ابو مصطفى : المرجع السابق، ص 99 .

(3) المقري : المصدر السابق، ج 3، ص 92 .

(4) احمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص 229 – 230 .

غالب الناصري من فرسه ولا اثر من السلاح على جسده، وفي هذا الخصوص لم يتفق الكثير من المؤرخين في سبب موت غالب الناصري، حيث من الروايات المفندة نجد أن قوم من غلمانه زعموا انه ذهب عنهم من المعركة فظنوا منه انه يريد قضاء الحاجة فلما تأخر عنهم ذهبوا ليتفقدوه فوجدوه ساقطا ميتا وفرسه بجانبه، فوصل هذا الخبر لأبى عامر، فسجد لله شاكر وكبر جيشه حتى أرعبوا قلوب النصارى المحاربين في صفوف غالب، وبهذا انتهى صراع محمد بن أبى عامر مع صهره القائد غالب الناصري(1).

ج- تسميته بالحاجب المنصور :

بعد انتهاء محمد ابن أبى عامر من جل خصومه ومنافسيه وانتصاره على نصارى الاسبان في الكثير من الغزوات التي قادها بنفسه، أتيحت له الفرصة بذلك للاستقلال بالملك والانفراد به دون الخليفة الشرعي هشام المؤيد بالله، الذي حجره أبى عامر في القصر مشدد عليه الحراسة وبهذا أصبح الخليفة محجورا مهجورا لا تراه الخواص ولا العوام(2)، ويصف لنا ابن الآبار الحالة التي الى إليها الخليفة هشام المؤيد بالله في قوله " ليس له من الأمر غير الاسم خاصة، فما ظنك برجاله ومواليه الذين كان يرهب منهم ويهم يحترس ...." (3).

وهكذا تسمى محمد ابن أبى عامر بالمنصور وكما هو متعارف في الأندلس لا يتخذ الألقاب إلا الملوك ويعتبر هذا إعلان بسيادته، وهذا سنة 371 هـ / 981 م، فدعي له على المنابر، واستيفاء لرسوم الملوك كانت الكتب تنفذ عنه من الحاجب المنصور محمد بن أبى عامر إلى فلان، واخذ الوزراء بتقبيل يده وتابعهم على ذلك وجهاء بني أمية، فساوى الحاجب المنصور الخليفة هشام المؤيد بالله في جميع المراتب ولم يجعل فرق بينه وبين الخليفة (4).

---

(1) ابن الخطيب : المصدر السابق، ص 64 - 65 .

(2) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 225 .

(3) ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2، 1985 ، ج 1، ص 269 .

(4) احمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص 230 - 231 .

وقد لخص بعض المؤرخين السياسة العامرية تلخيصا جميلا بقولهم " كان المنصور أية من آيات الله في الدهاء والمكر والسياسة، عدا بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم، ثم عدا بغالب على المصاحفة حتى قتلهم، ثم عدا بجعفر بن حمدون على غالب حتى استراح منه، ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه، ثم انفرد بنفسه ينادي صروف الدهر هل من مبارز ؟ فلما لم يجده، حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده واستقام له أمره منفرد لا يشاركه فيها غيره .." (1).

وهكذا أصبح الحاجب المنصور الرجل القوي والحاكم المطلق في دولة الخلافة الأموية في الأندلس، التي أخذت تتخلى عن ثوبها الأموي باستثناء لقب الخلافة الذي لم يعد يسمع إلا في الخطبة من كل جمعة في الجامع الكبير بقرطبة، وارتبطت الدولة بكامل أجهزتها بالمنصور الذي أفضى على نفسه بالألقاب الملكية، ونقش اسمه على الطرز ودعي له في كل مساجد الأندلس (2).

واستيفاء لاستقلاليته قام ببناء مدينة الزاهرة (3) وجعلها عاصمة ملكه وانتقل إليها مع خزائن الأموال والأسلحة وإدارات الحكومة وحاشيته ووزراءه، متخذ سمة الملك فيها (4)، واصدر المنصور في سنة386 هـ /996 م، بان يخص بألقاب السيادة بين سائر الناس في المخاطبات ويرفع ذلك عن سائر أهل الدولة وخوطب في ذلك الوقت بالملك الكريم (5).

---

(1) نفسه، ص 231 .

(2) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 ، ج 1، ص 259 .

(3) الزاهرة : مدينة متصلة بقرطبة من البلاد الأندلسية بناها ابن أبي عامر . الحميري : المصدر السابق، ص 283 .

(4) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 260 .

(5) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 553 .

ونتيجة لهذا كله، كان هنالك ما يدل على أن المنصور كان يعتزم بالفعل أن يتخذ سمة الخلافة وهذا ما يقره الفيلسوف ابن الحزم(1)، حيث يروي تفاصيل ذلك نقلا عن أبيه الوزير ابن حزم وزير المنصور، ملخص روايته أن المنصور جمع للمشورة في ذلك الأمر قوما من خواصه ومنهم ابن حزم وابن عياش وابن فطيس، ولكن ابن حزم عارضه وأعرب عن خوفه من أن يحرك ذلك ساكن الأحوال، وان المنصور ليس في حاجة إلى مثله وبيده سائر الأمور، وكان رأي الفقهاء من هذا بين الاعتراض والموافقة(2).

(1) ابن حزم : هو علي ابن احمد بن سعيد بن حزم، اشتهر بين العلماء، والده احمد بن سعيد كان وزيرا في الدولة العامرية ولد بقرطبة في الجانب الشرقي من ربض منية المغيرة وذلك سنة 384 هـ/994 م، نشا في طيفة منعمة مليئة بالرفاهية قاضي كن طفولته بقصر قرطبة . حسن ابن إبراهيم الهنداوي ، الإمام ابن حزم ومنهجه في التعامل مع مختلف العلوم ومدى صلاحيتها لأسلمة المعارف الإنسانية، مجلة الإسلام في أسيا، ماليزيا، ع 2، يونيو 2011، ص 169 .

(2) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 554 .

الفصـــل الثـــاني :

السياســة الداخلــية للحــاجب المنــصور

أولا : تنظيمه للجـــيش

ثانيـا : الـوزارة فـي عهـــده

ثالـثا : سياســته في القضـــاء

أولا : تنظيمه للجيش

بعد أن تولى الحاجب المنصور مقاليد الحكم في الأندلس أدرك انه لكي يتحقق سلام الأندلس وأمنها، ولردع الممالك النصرانية عن عدوانها المستمر، لابد أن يتوفر للأندلس قوة عسكرية عظيمة، وبهذا فقد بذل المنصور جهد كبير لإصلاح الجيش الأندلسي وتقويته وتزويده بأفضل العناصر المحاربة، وقد رأى أن يعتمد على عنصر البربر وهذا لتمتعهم بالشجاعة فاستقدمهم من العدوة المغربية ورعاهم بوفرة البذل والعطاء(1)، ويقول المقري بهذا الشأن " ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع إلى الجند فاستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جندا واصطنع أولياء وعرف عرف من صنهاجة و مغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم "(2) .

ووصل عدد الفرسان البرابرة الذين قيدوا في ديوان المنصور ثلاثة ألاف فارس (3)، وكان الحاجب المنصور يرمي وراء هذه التشكيلة المختلفة من العناصر المغربية، انه في حالة خروج احد الطوائف عليه غلبها بسائر الفئات(4)، ومازال المنصور يسعى في استقدامهم ويبذل الإحسان إليهم والتوسعة بهم، وهم يقبلون إليه إقبالا منقطع النظير فأيدوه تأييد مطلقا ولبوا نداءه، وبذلك حسنت أحوالهم وكثرت أموالهم وصاروا اظهر الجند نعمة وأعلى منزلة، وأصبحت فيهم رئاسة الجيوش وقيادة المعارك، وبذلك قدم رجالهم وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم، وهذا لما رآه من ثرائهم وازدياد أموالهم فخشي من منافستهم له في السلطان، ويرجع استعمال الحاجب المنصور لهذه القوة هو معرفته بطبائعهم التي لم تكن غريبة عنه، فقد سبق وان عاش في بلادهم وبين

---

(1) نفسه، ص 569- 570 .

(2) المقري : المصدر السابق، ج 1، ص 380 .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق، ص 102 .

(4) عبد الله بن بلكين : التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، حرره على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، ط 1، 2006 ، ص 31 .

قبائلهم عدة سنوات، يرعى فيها شؤون الناس ويحكم في مظالمهم حينما كان أمينا خاصا للخليفة الحكم المستنصر(1) .

بالإضافة إلى استخدامه للمغاربة في الجيش زاد عليهم قوة جديدة وهم المرتزقة الاسبانيين من الجنود الأسرى في حروبه مع الممالك النصرانية، حيث أكرمهم وكسب ودهم فكانوا سلاحا في نحور بني جنسهم وملتهم (2).

وفي السياسة التنظيمية التي اعتمدها المنصور في جيشه أن ألغى النظام القديم، فقام بتقسيم جيشه إلى كتائب وأقام لهم نظام المرتبات بدل الإقطاع العسكري الذي كان معمول به، واستكثرهم حتى ضاقت بهم قرطبة(3).

وقد أورد لنا ابن الخطيب عن التيجاني بعض الإحصاءات الهامة عن جيش الحاجب المنصور، فذكر لنا أن الجيش المرابط بلغ من الفرسان اثنى عشر ألف ومائة كلهم من سائر الطبقات، وكان عدد الحرس الخاص ستمائة فارس ويتضاعف هذا العدد في وقت الصوائف لانضمام المتطوعين له، وقد بلغ عدد الفرسان في بعض الصوائف إلى ستة وأربعين آلف وكان عدد المشاة يتضاعف، وأورد لنا أيضا ابن الخطيب بيانات مفصلة عما كان يقتنيه الحاجب المنصور من عناق الخيل برسم الجهاد، حيث بلغ عدد الجمال أربع ألاف جمل خصصت لحمل الأشياء الثقيلة (4).

أما بخصوص تجهيزاته الحربية فقد كان المنصور يحتفظ بكميات عظيمة من الخيام والدروع والسهام والتراس وغيرها من وسائل الحصار(5) ، ونتيجة للقوة العسكرية المتنامية في عهده روي انه في احد الأيام قام باستعراض جيشه في قرطبة، فكان عدد الفرسان ما يقارب مائتي ألف

---

(1) عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 227 – 228 .

(2) محمد لبيب البتوني : رحلة الأندلس ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة، 2012، ص 146 .

(3) شاكر مصطفى : الأندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص 53 .

(4) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 570 – 571 .

(5) نفسه، ص 571 .

وعدد المشاة ستمائة ألف، وان كان الرقم الأخير فيه الكثير من المبالغة، إلا انه يدل في نفس الوقت على مدى ما وصل إليه جيش المنصور من كثرة في العدد لم تتحقق في أية فترة من فترات التاريخ الأندلسي(1).

أما الأسطول البحري فقد ساهم في تدعيمه، وأضاف إليه وحدات حربية جديدة، قد خبر ذلك في وصف الشاعر ابن دراج القسطلي للأسطول البحري الذي أنشأه الحاجب المنصور بقوله:

تحمل منه بحرا من القنا ... يروع بها أمواجه ويهول

لكل حملات الشراع كأنها ... قد حملت أسد الحقائق غيل

إذا سابقة شأو الرياح ... تخيلت خيولا مدى فرسانهن خيول(2).

ويبدو أن الحاجب المنصور أراد من هذه السياسة العسكرية أن يحقق مايلي :

1- تشكيل الجيش اللازم للدفاع عن الأندلس من هجمات نصارى الشمال

2- ترسيخ العلاقة مع القبائل البربرية في المغرب للحفاظ على العدوة المغربية وثغورها وهذا لتامين حدود الأندلس من الجهة الجنوبية

3- أن يحد من نفوذ الطبقة العربية في الأندلس بجلب القبائل المغربية إليها(3).

---

(1) ابن الخطيب : المصدر السابق، ص 86 .

(2) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المبرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1، 1969 ص 48 .

(3) حامد إسماعيل شاهين : سهولة الانتشار في المغرب والأندلس وأثرها على الحياة السياسية والعسكرية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2012، ص 116 .

ثانيا : الوزارة في عهده

بعد أن بلغ الحاجب المنصور ذروة النفوذ والسلطان في الدولة أصبح هو الأمر والناهي وقام بعد ذلك في تنظيم حكومته ، فضمت عدد من اقدر رجالات الأندلس من وزراء وكتاب، ومن وزرائه نجد محمد بن جهور و عيسى بن فطيس و ابو عبد الله بن عياش و احمد بن محمد بن حدير و محمد بن حفص بن جابر، ومن أهمهم الوزير احمد بن سعيد بن حزم والد الفيلسوف الشهير، الذي كان من اقدر وزراء المنصور حيث استوزره سنة 381 هـ وبلغ من ثقته انه كان يخلفه على المملكة في أوقات غيابه ، والظاهر انه لما بلغ ذروة النفوذ والسلطان بدا يصدر أحكاما مستقلة عن الحاجب المنصور ، مما ساهم في إقصائه من خدمة الوزارة وبعثه إلى كورة الغرب لينظر في شؤونها وهناك راجع نفسه واعتدل ، فأعاده المنصور إلى منصبه الأول(1)، ومن وزرائه أيضا أبو مروان عبد الملك إدريس الجزيري الذي استمر في الوزارة حتى بعد وفاة الحاجب المنصور وصول بحجابة ابنه عبد الملك (2).

وبخصوص تعامل المنصور مع وزرائه فقد سلك سياسة الشورى وذلك بالرجوع إليهم في الكثير من الأمور وهذا لا يعني انه يأخذ برأيهم في جميع المسائل، ففي كثير من الأحيان كان يقرر دون رأي وزرائه فيوفق وينال إعجابهم(3).

والظاهر أن وزراء وكتاب المنصور جلهم ينتسبون إلى اسر عريقة تعاقب أبناؤها على الوزارة، مثل أسرة آل شهيد وال عبده وال فطيس وال حدير وغيرهم ممن عملوا على توطيد دعائم الدولة الأموية في الأندلس واستمر معظم الوزراء في مناصبهم حتى في عهد ابنه عبد الملك (4).

---

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 574.

(2) ابن خاقان ، مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، تحقيق محمد علي شوابكة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1983 ، ص 141 .

(3) المقري ، المصدر السابق، ج 1، ص 588 – 589 .

(4) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 574 – 575 .

والى جانب الوزارة يوجد منصب الحاجب، الذي يتم اختياره من قبل الخليفة وهذا ليكون وسيطا بينه وبين باقي الوزراء، حيث يذكر ابن خلدون " أما دولة بني أمية بالأندلس فأبقوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ، ثم قسموا خطته أصناف وافردوا لكل صنف وزير ، فجعلوا لحسبان المال وزيرا و للترسيل وزيرا وللنظر في حوائج المتظلمين وزيرا وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيرا ، وجعل لهم بيت يدرسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وافرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت وارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ، ولم يزل الشأن في هذا إلى أخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب على سائر الخطط ..." (1).

وفي هذا الجانب نجد الحاجب المنصور قد اتخذ خطوة جريئة لتدعيم حكمه وجعل السلطة في داخل بيته بعد وفاته ، ففي سنة 381 هـ / 991 م تنازل عن لقب الحاجب لابنه عبد الملك الذي كان عمره لا يتجاوز ثمانية عشر ربيعا واكتفى هو بلقب المنصور (2)، بالإضافة إلى تكليف ابنه عبد الرحمن خطة الوزارة (3).

---

(1) عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 3، 2006 ، ص 199 .

(2) رينهرت دوزي ، المرجع السابق ، ص 133 .

(3) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ، ج 2، ص 293 .

ثالثا : سياسته في القضاء :

يعتبر منصب القضاء من المناصب التي اكتست أهمية كبيرة من قبل الخلفاء الأمويين بالأندلس، فكان لا يتم التعيين في هذا المنصب إلا بعد التحري ، ويجب ان يكون المؤهل لمنصب القاضي من أهل الورع التقوى والدين لما يتوقف عليها من تطبيق الشريعة واتخاذ الأحكام بناء على الكتاب والسنة الشريفة (1).

فخطة القضاء من أسمى الخطط فالله سبحانه وتعالى قد رفع درجة الحكام ، وجعل إليهم تصريف أمور الأنام، فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة اشرف من القضاء(2)، وفي هذا الشأن نجد الحاجب المنصور اظهر مقدرة فائقة حين اشرف على امن قرطبة بنفسه إذ ضبط المدينة ضبطا جيد، إذ سد باب الشفاعات وقمع أهل الفسق حتى ارتفع البأس وامن الناس، ولم تعرف الأندلس من الاستقرار والهدوء ما عرفته في أيامه ، كيف لا وهو شديد الاهتمام بمراقبة السير الحسن للقضاء وذلك لإشاعة العدل بين الرعية(3).

والكثير من كتب السير والتراجم نجدها تشهد على حسن اختياره لأحسن واعلم الرجال في البلاد، إذ نجدها حافلة بأسماء وخصائص مجموعة كبيرة من الرجال، كان يكن لهم احتراما كبيرا، فلا يسعى بحال من الأحوال للتجاوز على سلطاتهم أو التدخل في مسارهم(4).

ومن هؤلاء القضاة في عهده القاضي أبو بكر بن محمد، و ابن زرب وهو قاضي الجماعة في قرطبة ومن أوائل القضاة في عصر الدولة العامرية وهو فقيها ولديه كتاب في هذا الخصوص بعنوان (الخصال)، ومن القضاة أيضا عبد الله بن محمد بن يحيى بن زكريا والذي كان خال الحاجب المنصور، تولى قضاء قرطبة بعد ابن زرب واستمر فيها إلى غاية عام 381 هـ / 991

---

(1) رزقي عبد الرحمن ، النظم الإسلامية في الأندلس 316 هـ – 422 هـ، رسالة ماجستير، جامعة ابى بكر بلقايد، تلمسان، 2010 ، ص 139 .

(2) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 02 .

(3) عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 467 .

(4) نفسه، ص 467 .

م، وبعد ذلك ولاه المنصور خطة الوزارتين وهذا سنة 392 هـ / 1001 م، ومن أشهرهم أيضا أيام المنصور ، القاضي أبو العباس احمد بن محمد بن ذكوان وهو من شيوخ أهل العلم، استمر في منصبه إلى غاية عهد عبد الملك المظفر بن المنصور ولم يترك خطة منصبه حتى وفاته سنة 413 هـ / 1022 م،(1).

والقاضي احمد بن حكم بن محمد العاملي وهو من أهل قرطبة يكنى بأبي عمر ولي قضاء قرمونة(2) ومورو (3)، ومن أعلام الحديث والفقه نجد القاضي عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي، استدعاه في الأول الخليفة الحكم المستنصر من العراق، وفي طريقه إليه وبالضبط عند وصوله إلى ألميريا(4) توفي الحكم المستنصر ، فواصل طريقه إلى قرطبة وبقي فيها حتى علم به الحاجب المنصور فولاه قضاء سرقسطة(5) وهذا بفضل مكانته الفكرية ومعرفته الفقهية(6) .

---

(1) علي بن سعيد ، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1964، ج 1، ص 214 .

(2) قرمونة : هي مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية افتتحها عبد الرحمن بن محمد سنة 305 هـ/ 917م، وهي مدينة كبيرة و قديمة وتسمى بلفظ آخر كاريب مويه ، تقع في سفح جبل ذو جنبات حصينة ممتنعة على المحاربين وبداخل مدينة قرمونة آثار كثيرة . الحميري : المصدر السابق، ص 461 .

(3) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، صححه عزت العطار الحسيني ، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1955، ج 1، ص 15 - 16 .

(4) المريا : تقع بالأندلس وهي مدينة حديثة تقع على حدود البرة وشنترين، أمر ببنائها الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة 344 هـ / 955 م، اتخذها العرب رباط وابتنوا بها محارس وهي اليوم أشهر مراسي الأندلس وأعمرها ، كان يطلق عليها مدينة الإسلام أيام المرابطين في الأندلس . أبي القاسم ابن حوقل النصيبي : صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 105 . و الحميري : المصدر السابق ، ص 537 . 538 .

(5) سرقسطة : هي مدينة بشرق الأندلس وهي قاعدة من قواعد الأندلس يطلق عليها اسم المدينة البيضاء ، فهي مدينة واسعة الشوارع بها صور حصين من الحجارة ، اسمها مشتق من اسم بانيها وهو قيصر ، أخذها الصليبيون من المسلمين سنة 502 هـ/ 1109 م، . نفسه ، ص 317 .

(6) احمد الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ص 240 - 241 .

ولم يقتصر دور القضاة على الحكم بين الناس فقط فمنهم من شغل منصب القضاء وقيادة الجيوش الإسلامية بالأندلس وهذا مثل ما فعل قاضي رية الحسن بن عبد الله الخرافي(1)، ونتيجة لاهتمام المنصور بالقضاء، هناك روايات تبين لنا مدى عدالته وصرامته في نصرة الحق والانتصاف لذوي المظالم، وهناك عدة أمثلة رفعت فيها المظالم إلى المنصور ضد بعض حاشيته وأكابر خدمته ممن كانوا يظنون أن مراكزهم تحميهم من أيدي القضاة، وتبين لنا موقف الحاجب المنصور تجاههم(2).

ونذكر في هذا الشأن قصة الفتى المعروف بالميورقي الخادم والمشرف على دار الحاجب المنصور وما وقع بينه وبين التاجر المغربي ، حيث اختلفوا وتنازعوا في خصومة بينهم ، فحكم القاضي لصالح الميورقي وهذا لمكانته لدى المنصور ، فما كان من التاجر المغربي لكي يسترد حقه إلا بوقوفه في طريق المنصور وهو ذاهب إلى المسجد ، وعند رؤيته له صرخ متظلما من الفتى الميورقي ، فأمر المنصور بأخذ التاجر المغربي إلى القاضي فأنصفه من الفتى وبذلك عزل المنصور خادمه و نفاه من الأندلس (3).

ومن عدالة المنصور قد حدث وان وقف أمامه رجل من العامة وهو في مجلسه فناداه يا ناصر الحق، إن لي مظلمة عند ذلك الرجل الوصيف الذي أمامك وأشار إلى الفتى صاحب الدرقة، فقال دعوته إلى الحاكم فلم يأت ، مع العلم كان هذا الفتى مفضل لدى المنصور ، فقال له اذكر مظلمتك يا هذا ، فذكر الرجل معاملة كانت بينهم ونهاها صاحب الدرقة بغير إنصاف ، فقال المنصور ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية، ونظر إلى الصقلبي وقال له، ادفع الدرقة إلى فلان وانزل صاغرا، ثم قال لصاحب الشرطة الخاصة به خذ بيد هذا الظالم وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه، فشكر الرجل المنصور، فرد عليه " فقد انتصفت أنت فأذهب لسبيلك وبقي إنصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي "(4).

---

(1) النباهي ، المصدر السابق ، ص 53 .

(2) محمد عبد الله عنان :المرجع السابق ، ص578 .

(3) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 2، ص 289 - 290 .

(4) المقري، المصدر السابق، ص 409 - 410 .

الفصـل الثـالث :

السـياسة الخـارجية للحـاجب المنصـور

أولا: علاقـاته مع العـدوة المغربية

ثانيا : جهـاده ضـد الممـالك النصـرانية

ثالثا : علاقـاته الدبلوماسـية مع ملـوك أوروبا

أولا : علاقاته مع ا لعدوة المغربية

رغم المشاغل الكثيرة للحاجب المنصور واهتمامه الكبير بالشؤون الداخلية، نجده يهتم أيضا ببلاد المغرب والتي تعتبر المصدر الرئيسي لجيوشه وقواته، فقد سار الحاجب المنصور على نفس السياسة التي اعتمدها الناصر والمستنصر من قبل، التي تقوم على ضرورة اصطناع أمراء المغرب ورؤساء قبائلهم والتدخل العسكري المباشر إذا لزم الأمر لذلك، وهذا للمحافظة على النفوذ الأموي من جهة، ولتأمين الحدود الجنوبية لدولته ضد الخطر الشيعي من جهة أخرى(1).

ونجح المنصور في ذلك نجاحا لم يبلغه احد من قبل ولا من بعد، إذ ادخل في الطاعة الأموية كل البلاد المغربية الممتدة إلى سجلماسة(2) جنوبا سنة 370 هـ/ 980 م، والى ولايتي تلمسان(3) وتاهرت(4) شرقا سنة 381 هـ/ 991 م، واقتصر دور الحاجب المنصور في أول عهده على ضبط مدينة سبتة(5) وما والها وقلدها لكبار رجاله من أصحاب السيوف والأقلام وهذا على حسب الحاجة، وعول في ضبط ما وراء ذلك على ملوك زناتة، وعلى الرغم من هذا النجاح الكبير الذي أحرزه المنصور في العدوة المغربية، إلا انه قامت ضده معارضات وثورات عديدة مناهضة للنفوذ الأموي في هذه المنطقة، لكن المنصور كان لها بالمرصاد لدرجة اتخاذه من مدينة الجزيرة الخضراء قاعدة عسكرية للإشراف منها على العمليات الحربية في العدوة المغربية (6).

---

(1) عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق، ص 228 .

(2) سجلماسة : من أعظم المدن في صحراء المغرب وهي على نهر يقال له زيز ، ليسا فيها مباني ولا عمارة . الحميري : المصدر السابق، ص 305 .

(3) تلمسان : هي قاعدة المغرب الأوسط ، وهي مدينة عظيمة وقديمة فيها بقايا أثرية تدل على انها كانت دار مملكة لأمة سابقة ، فكانت تلمسان دار مملكة زناتة ، وهي كثيرة الخصب والرخاء . الحميري : المصدر نفسه، ص 135 .

(4) تاهرت : مدينة مشهورة من مدن المغرب الاوسط وتقع في سفح جبل يسمى قزول ، بها أسواق عامرة وحمامات كثيرة ، وصاحب تاهرت هو ميمون بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام من ولد سابور وكان ميمون اباضي. الحميري : المصدر نفسه ، ص 126 .

(5) سبتة : مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق وسبتة هي سبعة جبال صغار متصلة ببعضها . الحميري : المصدر نفسه ، ص 303 .

(6) احمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 234 – 235 .

ومن هاته الثورات التي واجهت الحاجب المنصور في العدوة المغربية نجد أول ثورة في سنة 369 هـ / 979 م، بقيادة بلكين بن زيري الصنهاجي ملك الدولة الزيرية في المغربين الأدنى والأوسط، فبدا بحصار سبتة ولكنها استعصت عليه نظرا لقوة تحصينها ومناعتها إذ قال فيها " إنما سبتة حية ولت ذنبها حذاءنا وفرغت فاها نحونا " وانصرف بعدها عائدا إلى بلاده (1)

أما الهجوم الثاني الذي واجهه المنصور في العدوة المغربية كان في سنة 375 هـ / 985م بقيادة الأمير الإدريسي الحسن بن قنون(2)، والذي كان مقيما في بلاط الفاطميين بالقاهرة، وقد طلب كل من الخليفة العزيز بالله الفاطمي(3) ووزيره يعقوب بن كلس من الأمير الإدريسي بالرجوع إلى وطنه والتمسك بدعوة أبائه الأدارسة واسترداد ملكهم الضائع في المغرب ، فانصرف هو ورجاله إلى المغرب بعد تقويته بالمال اللازم (4).

وبدأت محاولات الحسن بن قنون لكي يحيى دولة الأدارسة بالمغرب وساندته في ذلك بعض القبائل الزناتية، مثل بني يفرن وعدد كبير من العلويين الذين جاهروا بطاعته(5)، فعلم المنصور بتدبير الفاطميين فأرسل ابن عمه الملقب بعسكلاجة على رأس جيش كبير وقلده أمر المغرب، فتوجه القائد عسكلاجة من سبتة لقتال الحسن بن قنون، وقامت قواته بمحاصرته واستمر مدة على هذا النحو إلا أن وصلته إمدادات جديدة من الحاجب المنصور بقيادة ابنه عبد الملك،

---

(1) سامية مصطفى مسعد : العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الإسكندرية، ط 1، 2000 ، ص 107 – 108 .

(2) الحسن بن قنون بن محمد بن القاسم بن ادريس، اخر حكام دولة الادارسة العلوية تولى حكم البلاد بعد أخيه احمد الإدريسي سنة 348 هـ / 957 م . احمد ابن ابي الزرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق كارل يوحن نورنبرغ ، مطبعة فاس الحجرية ، المغرب ، 1885 ، ص 55 .

(3) العزيز بالله الفاطمي: هو خامس الخلفاء الفاطميين، آلت إليه الخلافة سنة 365 هـ، عمل على نشر المذهب الشيعي واقتصرت جل المناصب الهامة في عهده على الشيعيين فقط . محمد جمال الدين سرور : تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ص 78 .

(4) احمد المختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 235 – 236 .

(5) نفسه، ص 236 .

كما انضمت إليه قبائل مغراوة وزعمائها وعلى رأسهم زيري بن عطية(1)، وبذلك قام عسكلاجة بمطاردة الحسن بن قنون حتى أرهقه مما اضطر به الأمر إلى التسليم وطلب الصلح والأمان، لكن الحاجب المنصور رفض طلبه وآمر بقتله سنة 375 هـ / 985 م، نتيجة فساده ونكثه للوعود، وانهارت بذلك الدعوة الادريسية، واستولت القوات الأموية على مدينة فاس وضمت إلى العدوة الأندلسية وخطب فيها لبني أمية (2).

وبالرغم من أن ابن قنون كان طاغية مستبدا يشعر باللذة العارمة في اسر أعدائه، إلا أن طريقة قتله أثارت عطف الجميع، فقد كان شريف من نسل النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى الجند الذين قتلوه امتثالا للأمر الصادر إليهم، اشتد بهم الخوف حين هبت عاصفة قوية بعد عملية قتله، فاعتبروها نذير وعقاب أنزلته السماء عليهم، وبهذا انقسم الناس إلى طائفتين إحداها اعتبرت عمل المنصور كفرا وأخرى اعتبرته خيانة لرجل طلب الأمان ، وتجاهر الناس باتهامهم للمنصور برغم شدته عليهم، وكان من بين الساخطين عليه أيضا قائده عسكلاجة، فعند سماع المنصور بذلك سخطا عليه وطالبه بالرجوع إلى قرطبة، وعند وصوله إليه اتهمه بالغدر والخيانة العظمى وقام بقتله(3).

صراعه مع صبح ا لبشكنشية وحليفها زيري بن عطية :

في ظل الثورات العنيفة التي واجهها الحاجب المنصور في العدوة المغربية في هاته الأثناء، تحول صراعه إلى أم الخليفة صبح البشكنشية وهي المرأة التي كانت وراء بروز نجم محمد ابن أبي عامر ، فبعد سيطرته على الحكم في الأندلس انعكس حبها إلى حقد وكره، فصممت على إسقاطه(4)، ولتحقيق غايتها استعانت في ذلك بقائد من العدوة المغربية وهو زيري بن عطية، والذي

---

(1) زيري بن عطية : وهو ابن عبد الله بن تيادلت بن محمد بن خزر الزناتي ، ملك زناتة سنة 368 هـ / 979 م يعتبر من المناصرين للخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور . احمد ابن ابي الزرع ،المصدر السابق ، ص 63 – 64 .

(2) سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 108 .

(3) رينهرت دوزي ، المرجع السابق، ص 123 - 124 .

(4) نفسه، ص 135.

كان له دور في إخماد الثورة العلوية التي قام بها الحسن بن قنون فكان جزاءه من المنصور توليه حكم بلاد المغرب (1).

ونظر لمكانته اعتمدت عليه صبح في صراعها مع المنصور، فبعثت إليه رسلها وأمدته بالأموال، ودفعته إلى مناوأة المنصور، وأمرته بان يحشد جيش ويتأهب للعبور إلى العدوة الأندلسية، مع العلم أن زيري بن عطية يعتبر من المناصرين لبني أمية ومن الناقمين على سياسة المنصور والمتمثلة في حجر الخليفة هشام المؤيد بالله، وفي هذا التقت غاياته مع صبح (2).

وكان المنصور وراء كل هذا يقظا، فلم يفته شيء من خطط صبح وأعوانها، وكان زيري بن عطية هو الشخص الوحيد الذي مازال يخشاه(3)، خاصة بعد تحالفه مع صبح وإعلانه قطع الدعوة عن المنصور، فأعلن الثورة والخروج عن طاعته سنة 386 هـ / 996 م، فقابله المنصور بقطع الأرزاق عنه، وعمل على تجهيز جيش كبير جعل القيادة فيه لمولاه الفتى واضح صاحب مدينة سالم، فأمده بالذخيرة والمؤنة اللازمة، فعبر بها واضح البحر إلى طنجة حيث انضم إليه الكثير من قبائل البربر هناك، خاصة من صنهاجة (4).

فعند سماع زيري بهذا خرج لمقاتلة واضح، فنشبت بينهم معارك طاحنة، كانت فيها الغلبة لجيش زيري(5)، ففر واضح إلى طنجة وطلب من المنصور الإمدادات، فأجابه المنصور بأن أرسل إليه ابنه عبد الملك(6)، وخرج المنصور على اثر ذلك إلى الجزيرة الخضراء وبقي هناك يراقب المعركة عن كثب، فشعر زيري بخطورة الوضع، فاستنجد بقبائل زناتة التي هرعت إليه من جميع أنحاء المغرب، ونهض بها لقتال الجيش الأندلسي، ووقعت معارك طاحنة بين الفريقين وكان ذلك

---

(1) احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 236 .

(2) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 555 .

(3) رينهرت دوزي ، المرجع السابق ، ص 135 .

(4) سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 110 - 111 .

(5) نفسه، ص 111 .

(6) إيمان بنت دخيل الله العصيمي، العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث هجري وحتى سقوط غرناطة ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ، 2009، ص 109 .

بوادي منى بأحواز طنجة وكانت فيها الغلبة للجيش الأندلسي، إذ لعبت فيها الخيانة دور كبير في ترجيح الكفة، إذ تشير المصادر إلى أن غلام اسود يدعى كافور بن سلام وهو من جند زيري بن عطية، كان يحمل الحقد لزيري لأنه قتل أخاه سابق، ونتيجة لهذا تسلل إلى خيمة زيري بن عطية، فأصابه بطعنة في رقبته وفر على أثرها هاربا إلى معسكر عبد الملك ابن المنصور مبشر بقتل زيري، وبعد تأكد عبد الملك من صحة هذا الخبر، هجم على جنود زيري وهم في دهشة واضطراب فهزم جموعهم واستولى على أسلحتهم، ثم استولى بعدها على فاس وتادلا وسجلماسة وغيرها من المدن الهامة (1).

وبعد هذا الانتصار الكبير ، عاد عبد الملك إلى قرطبة تاركا واضح الصقلبي في العدوة المغربية فعينه الحاجب المنصور حاكم على المغرب سنة 389 هـ / 999 م(2)، أما بخصوص زيري بن عطية فلم تقتله طعنة كافور، فبعد علمه بهزيمة جيشه التجأ إلى بلاد صنهاجة، فعند قدومه إليهم وجد أهلها قد اختلفوا في ملكهم، فاستغل زيري هذا الاختلاف وهجم بجيشه الذي تبقى معه على صنهاجة فهزمهم ودخل إلى تاهرت، وأقام بالدعوة فيها للخليفة هشام المؤيد بالله، ثم كتب إلى الحاجب المنصور يسترضيه ويطلب منه الأمان ويعده بالولاء إذا أعاده المنصور مرة أخرى إلى ولايته على المغرب، فقبل المنصور اعتذاره وأعاده إلى حكم العدوة المغربية، وحكم بلاد المغرب قليلا إلا أن عاودته آثار جراحه القديمة، فمات على إثرها وكان ذلك سنة 391 هـ / 1001 م، فولى من بعده المعز بن زيري بن عطية(3) حاكم على بلاد المغرب(4).

---

(1) احمد مختار العبادي ، المرجع السابق، ص 239 .

(2) نفسه، ص 239 .

(3) المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله انزناتي المغراوي من ملوك فاس في أواخر عهد بني أمية بالأندلس، أقامه بنو عمومته أمير عليهم بعد وفاة ابيه ، بقي تابع لقرطبة إلى أن انتهت الدولة الأموية بالأندلس بعد انقراض الدولة العامرية، توفي بمدينة فاس وذلك سنة 422 هـ / 1031 م . ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979، ج7، ص 34 .

(4) السلاوي الناصري : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، مطبعة دار الكتب ، الدار البيضاء، 1954، ج 1، ص 216 – 217 .

هكذا فشلت صبح في محاولتها للقضاء على المنصور، ولم يسفر ذلك الصراع المتأخر إلا عن توطيد سلطان المنصور، ولم يبق للخليفة هشام المؤيد بالله سوى الاسم فقط، وبعد إيقان صبح بصعوبة إزاحة المنصور مما هو فيه، لجأت إلى السكينة والعزلة، ولم يعد يسمع عنها شيء في سير الحوادث ولم يعرف حتى تاريخ وفاتها(1)، ونتيجة لسياسة الخارجية التي انتهجها المنصور مع المغاربة نجد أثره عاد بالإيجاب على الدولة الأموية في الأندلس، والتي بلغت فيها إلى أقصى اتساعها (2).

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 556 .

(2) مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، 2004 ، ص 126 .

ثانيا : جهاده ضد الممالك النصرانية

لكي يكسب المنصور الشرعية في الحكم والتبعية، كان لابد عليه بأن يقوم بعمل يدعم نفوذه وبهذا سلك طريق الجهاد في سبيل الله، فأخذ يغزو الممالك المسيحية بنفسه، وقد اختلف المؤرخون في عدد غزوات المنصور التي قام بها على مدار فترة حكمه، فالبعض يذكر أنها اثنتين وخمسين غزوة والبعض الأخر يذكر أنها سبع وخمسين غزوة (1).

وان كان المؤرخون لا يحددون إحداثها وتواريخها كلها، إلا أنهم أشادوا بشجاعة المنصور في الجهاد، إذ فاقت شجاعته في رأيهم تلك التي أبداها حكام الأندلس جميعا فيما سبق وما لحق من العصور من بعده(2)، فكانت له في كل عام غزوتان، وتسمى في كتب التاريخ بالصوائف والشواتي، ولم يهزم في واحدة منها طوال حكمه الذي بلغ خمسة وعشرين سنة (3).

حارب المنصور في جبهات النصارى المتعددة، في كل من قشتالة(4) وليون(5) ونافار و قطالونيا فأنزل بهم خسائر فادحة، فدانت له جميع اسبانيا شمالا وجنوبا(6)، فكان المنصور دائم التأهب للغزو، وكلما وقعت له نية في الغزو وهو في صلاته بالمسجد يعلن من هنالك الجهاد ويذهب للغزو من دون الرجوع إلى القصر، وبخصوص هذا يروى انه كان ذات مرة في صلاة العيد فعزم على الجهاد، وخرج بعد انصرافه من الصلاة إلى الغزو، وتتبعه الجيش ولم يصل إلى بلاد الأسبان المسيحيين إلا وقد كمل عدد جيشه، وقد فتح فيها الكثير من المدن والحصون المسيحية ووصل إلى معاقل تعذر على من كان من قبله في الأندلس الوصول إليها، كما أن

---

(1) احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 221 .

(2) احمد فكري ، قرطبة في العصر الاسلامي تاريخ وحضارة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1983 ، ص 104 .

(3) احمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 221 .

(4) قشتالة : هي عمل من الأعمال الأندلسية ، يطلق على اسم منطقة ما خلف الجبل في الجهة الجنوبية باسم اشبانيا وما خلف الجبل من الجهة الشمال بقشتالة . الحميري : المصدر السابق، ص 483 .

(5) ليون : هي قاعدة من قواعد قشتالة وهي منطقة عامرة، بها معاملات وتجارات ومكاسب ولاهلها همة ومكانة . الحميري : المصدر نفسه ، ص 514 .

(6) احمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 221 .

الأندلس لم تبلغ ما بلغته في عهده من القوة العسكرية المعدة لغرض الجهاد، ولم تبلغ اسبانيا النصرانية ما بلغته في عهده من التمزق والضعف (1).

وللحاجب المنصور شعر في غزواته نجد منها :

لم ترني بعث الإقامـة بالسـرى ولين الحشـايا بالخـيول الضوامـر

تبدلت بعـد الزعفـران وطيـبه صد الدروع من مستحكمات المسامر

اروني فتي يحمي حمـاي وموقفي إذا استجر الأقران بيـن العسـاكر

إن الحاجب المنصور من ال عامر بسيف أقدم السهام تحـت المغـافر

فلا تحسبوا أني شـغلت لغـيركم ولكن عهدت الله في قتل كل كافـر(2)

وقد لخص لنا ابن عذارى سياسة المنصور على لسان ابن خاقان بقوله " تمرس المنصور ببلاد الشرك أعظم تمرس ، ومحا من طواغيتها كل تعجرف وتغطرس وغادرهم صرعى البقاع وتركهم أذل من وتد بقاع ، ووالى على بلادهم الوقائع وسدد إلى أكبادهم سهام الفجائع وأغصى بالحمام أرواحهم ونغص بتلك الآلام بكورهم وأرواحهم " (3).

ويقول ابن الآبار في غزواته " هو بقوة نفسه وسعادة جده ، يعد النصر ولا يتمارى في الظهور ويستعجل الأسباب المعنية على الفتح حتى أسعف ولقي العدو فهزمه "(4)، لذلك سنستعرض أهم غزوات المنصور بشكل دقيق ومفصل .

---

(1) الضبي : المصدر السابق، ص 116 .

(2) ابن الآبار : الحلة السيراء ، المصدر السابق، ج 1، ص 286 .

(3)ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق،، ج 2 ، ص 297 .

(4) ابن الآبار : الحلة السيراء، المصدر السابق، ج 1، ص 269 .

ا – غزوه لمملكة ليون (371 هـ / 981 م)

خرج الحاجب المنصور إلى مملكة ليون وذلك لمحاربة راميرو الثالث، فاتجه إلى مدينة سمورة(1) سنة 371 هـ / 981 م، فحاصرها إلا أنه لم يستطع الاستيلاء عليها نتيجة لقوة تحصيناتها، فاستنجد راميرو الثالث بكونت قشتالة غرسية فيرناندیز وملك نافار سانشو لصد قوات المنصور، وسارت قواتهم المتحالفة للقاء جيش المسلمين ونشب بينهم القتال عند بلدة روضة، فهزم الأعداء وقتل منهم عدد كبير واستولى المسلمون على قلعة شانت مانكس الشهيرة، ثم واصل المنصور زحفه الى الشمال في محاولة ثانية لاقتحام مملكة ليون والاستيلاء عليها لكن راميرو صده عن ذلك، وعاد المنصور بعدها بجيشه إلى قرطبة بعد قيامه بعدة غزوات استمرت لعدة أشهر (2).

وعلى اثر هذه الغزوات اضطربت أحوال ليون وفقد راميرو الثالث حب وتأييد شعبه له نتيجة هزائمه المتتالية، وما لبثت جليقية التي تعتبر أهم ولاياته أن اضطربت وقرر أشرافها خلع راميرو، وتولية ابن عمه برمود الثاني ملكا مكانه، فتوج على إثرها ملكا على ليون وذلك في مدينة شانت ياقب، فسار راميرو إلى محاربته ونشبت بينهم موقعة شديدة في بلدة بورتيليا دي ارنياس على حدود ليون وجليقية(3)، إلا أنها لم تكن حاسمة، وبعدها قام برمود الثاني بجمع قواته وسار بها لمحاربة خصمه مرة أخرى فهزمه واستولى بذلك على مدينة ليون وهذا في سنة 374هـ/984 م، فالتجأ راميرو إلى مدينة استرقة والتمس مساعدة المنصور مقابل اعترافه بطاعاته له، فقبل المنصور بهذا الطلب وأمده بجيش استطاع أن يخضع به سائر المملكة وان يرجعه إلى عرشه،

---

(1) سمورة : تقع في شمال الأندلس أي شمال شلمنقة . محمد عبد الله عنان :المرجع السابق ،ص 541 .

(2) سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 40 – 41 .

(3) جليقية : يسكن فيها الجلالقة وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وهو الأصغر من ولد نوح، بلدهم جليقية وهي سهل والغالب على ارضهم الرمال، وتمتد احواز الجليقين الى المحيط الاطلسي، وقاعدة جليقية مدينة اقش . الحميري : المصدر السابق، ص 169 .

وبعد هذا غدت مملكة ليون الاسبانية النصرانية لأول مرة ولاية تابعة لحكومة قرطبة تؤدي لها الجزية وتأتمر بأوامرها ، وكانت هذه أول ثمرة لسياسة الغزو المنظم التي سار عليها المنصور(1).

إلا انه لم يدم السلم طويلا بين المنصور وملك ليون برمود الثاني، وذلك بعدما ترك المنصور حامية من الجيش الإسلامي في مملكة ليون، إلا أن الأحوال لم تستقر هناك وذلك بفعل الشغب المستمر بين الحامية الإسلامية والنصارى مما جعل الملك برمود الثاني يستغل هذا الظرف، فقام بإزاحة الحامية الإسلامية خارج مملكة ليون ، ولما علم المنصور بخبر ازاحة حاميته ، قام بأعداد جيش لغزو مملكة ليون وهذا عام 378 هـ / 988 م، حيث خرج بجيشه وعبر نهر دويرة واخترق أراضي ليون وعند سماع الملك برمود بوصول المنصور، قام بنقل قواته إلى سمورة ظن منه أن المنصور سيبدأ هجومه عليها، غير أن المنصور اتجه مباشرة إلى ليون واستطاع اختراق أسوارها وجعلها أطلال من الدمار، ثم اتجه بعدها إلى سمورة فقام بمحاصرتها مما جعل الملك برمود يقوم بمغادرتها، وسلمت المدينة إلى المنصور واعترف معظم نبلاء مملكة ليون بسيادة المنصور عليهم، وبهذا لم يبق للملك برمود الثاني من مملكته سوى الرقعة الجبلية الشمالية الغربية من جليقية (2).

وفي سنة 385 هـ / 995 م طلب الملك برمود الثاني الصلح من الحاجب المنصور، فاستجاب الحاجب المنصور لطلبه وذلك مقابل الشروط التالية :

1 – أن يسلم له الملك برمود الثاني عبد الله البطرشك الأسير عنده .

2 – أن يدفع له برمود الثاني جزية سنوية (3).

---

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 542 – 543 .

(2) علي ادهم ، منصور الأندلس ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ص 93 .

(3) عمار عبد الرحمن حسين علي، العلاقات السياسية بين العرب المسلمين في الأندلس وممالك النصارى في الشمال، 928 – 1030 م، مجلة ديالي، ع 56، ص 18 .

ب – حملته على جليقية (387هـ / 997 م)

تعتبر منطقة جليقية من امنع مناطق اسبانيا النصرانية وأبعدها عن متناول الفاتحين، إذ تقع في قاصية اسبانيا الغربية وبالرغم من وعورتها طبيعيا إلى أن المنصور اعتزم السير إليها وذلك راجع إلى سببين، أولهما أنها تعتبر ملجأ لملوك ليون يمتنعون بها كلما أرهقتهم الغزوات الإسلامية، أما السبب الثاني تعتبر مستقرا لمدينة شانت ياقب(1)، وهي مدينة دينية تعتبر المزار المقدس والرمز الروحي لاسبانيا المسيحية (2).

ونتيجة لمكانة هذه المدينة خرج المنصور على رأس جيوشه وذلك في سنة 387 هـ / 997 م من عاصمته قرطبة محترقا الأراضي العربية للأندلس باتجاه الشمال الاسباني، وفي الطريق كانت تنظم إليه جيوش حكام مناطق الثغور المسلمين حتى وصل إلى نهر دويرة، وفي نفس الوقت كان المنصور قد أمر بإنشاء أسطول كبير في الموقع المعروف باسم قصر أبي دانس على شواطئ البرتغال الحالية، وسار بمحاذاتها وعبر مجر نهر الدويرة وبعدها اتجه بجيوشه نحو جليقية يفتتح المدن ويحتل القلاع والحصون من دون تعرضه لمقاومة جدية من طرف السكان، وعند وصول المنصور إلى مدينة شانت ياقب وجد سكانها قد هجروها ولم يجد فيها إلا شيخ من الرهبان يجلس بمحاذاة قبر القديس فتركه(3)، وغنم منها المسلمون وهدموا أسوارها ولم يتركوا فيها إلا القبر المزعوم للحواري يعقوب (4).

واخذ المسلمون أبواب المدينة ونواقيس الكنيسة العظمى وحملوها على أكتاف الأسرى ونقلوها إلى قرطبة، وبهذا اعتبرت من أهم الغزوات التي قام بها المنصور حيث اهتزت على إثرها

---

(1) شانت ياقب : هي كنيسة عظيمة مبنية على جسد يعقوب الحواري ويذكرون انه قتل في بيت المقدس ونقله تلامذته في مركب فجرى به عبر البحر الشامي وصول الى المحيط الأطلسي، حتى انتهى به ذلك الى موضع الكنيسة فسميت باسمه، وهي من ثغور ماردة. الحميري: المصدر السابق، ص 348 .

(2) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 559 .

(3) عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص 453 – 454 .

(4) محمد عبده حتاملة: المرجع السابق، ص 411 .

اسبانيا النصرانية وبقي أثرها الكبير أعوام عديدة، ونظم فيها الشاعر ابن دراج ألقسطلي قصيدة طويلة يهنئ فيها المنصور بنصره يقول فيها :

واستيقنت شيع الكفار حين نأت في الشرق والغرب إن الشرك من كذب

بشنتياقة لما إن دلفت له بالبيض كالبدر يسري في سنا شهبه

وجلة الدين والإسلام عاطفة عليك كالفلك الجاري على قطبه(1).

ج - استهدافه لأراضي برشلونة (375 هـ / 985 م)

كانت برشلونة(2) منذ الفتح الإسلامي وهي في أيدي المسلمين واستمر ذلك نحو قرن من الزمان، وكانت من أعظم ثغور الأندلس الشمالية الشرقية، ثم بعد ذلك سيطر عليها عاهل الفرنجة شارلمان أو كارل الأكبر وهذا في سنة 185 هـ / 801 م، أيام الحكم بن هشام بعد حصار طويل، وبعد الاستيلاء عليها اتخذوها الفرنجة قاعدة لولاية الثغر القوطي، وبعدها بقليل استطاع القوط انتزاعها من يد الفرنجة وجعلوها إمارة مستقلة (3).

وفي فترة حكم الحاجب المنصور كان يحكمها الكونت بوريل الثاني، فكان يقيم منذ بداية حكمه أحسن العلاقات مع المسلمين، أما بخصوص المنصور وحفاض على سياسته المعروفة بالصوائف و الشواتي رأى من أراضي كتالونيا هي الوجهة الوحيدة له فاستعد لغزوها أفضل استعداد، فجمع كل ما يلزم من الأسلحة والعتاد وأمر مجموعة من الوزراء والشعراء والكتاب لمرافقته وهذا ليكونوا رواة لأهل عصرهم وللأجيال التالية على عظمة الأندلس في وقت المنصور، فاتخذ في مساره طريق طويلا فمر بمدن بسطة والبيرة ومرسية، وفي سنة 375 هـ / 985 م ألقت

---

(1) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 560 . 561 .

(2) برشلونة : هي أعظم مدينة تجارية وصناعية في اسبانيا وهي مدينة الروم بينها وبين طركونة خمسون ميلا وهي مدينة على البحر ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة وعليها سور منيع، وهي كثيرة الحنطة والحبوب والعسل، بها عدد كبير من السكان اليهود إذ يعدلون عدد النصارى. شكيب ارسلان: الحلل السندسية في الإخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 ، 1997، ج2، ص 272 و الحميري: المصدر السابق، ص 87 .

(3) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 543 - 544 .

جيوش المنصور حصار قوي على أسوار برشلونة، وفي نفس الوقت كان أسطوله البحري يحاصر مرفأها من جهة البحر، وأمام هذا الحشد العسكري الأندلسي الضخم لم يتجرا بوريل الثاني على الدفاع على مدينته بل غادرها وتركها لمصيرها، فاجتاحتها الجيوش الأندلسية ودمرتها وهدمت عمائرها وقتلت الكثير من أهلها (1).

د – حربه ضد إمارة قشتالة (392 هـ / 1002 م)

بالإضافة إلى جهاد المنصور ضد النصارى المسيحيين، كان أيضا يقوم بإرسال بعثات إلى الممالك النصرانية للاطلاع على أخبارها، وفي هذا الشأن أرسل المنصور رسول إلى كونت قشتالة فأكرمه وبينما هو يتجول في قشتالة أوقفته امرأة أسيرة وأخبرته بنفسها فقالت له أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بؤسي هذا، وأخبرته بان لها سنين عدة وهي في الأسر وناشدته بالله في فك أسرها، فرجع المبعوث إلى قرطبة واخبر المنصور بذلك، فقام المنصور وسار بجيشه غازي بلاد قشتالة وعند علم غرسيه بهذا الجيش، أرسل إلى المنصور يخبره بان لا علم له بقضية المرأة الماسورة، فبعث له تلك المرأة واقسم له بعدم سماعه عنها، فعاد بعدها المنصور إلى قرطبة (2).

غير أن غرسية لم يستمر في ولائه، فقد نجحت قشتالة في إنشاء جبهة موحدة ضد المنصور تشمل جميع ملوك النصرانية، حيث تحالفت الممالك تحت زعامة سانشو غرسيا كونت قشتالة، وحشد أمراء نافار وليون وقشتالة قواتهم وتعاهدوا على القتال، فتجمع الجيش الصليبي في جبل جريرة الذي اتخذوه معسكر لهم، فبادرهم المنصور بالقتال فاقتحم قشتالة من ناحية مدينة سالم، ورأى سانشو أن ن يهاجم المسلمين قبل توطيد مراكزهم، واشتعلت المعارك في كل ناحية وكادت الهزيمة أن تقع بالمسلمين لولا نصر الله وصبر جيش المنصور، حيث لم يبق معه إلا أشخاص قلة، فاخذ المنصور يحثهم على مواصلة القتال والثبات حتى تمكن احد البربر من قتل

---

(1) عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق، ص 541 – 542 .

(2) ابن عذارى المراكشي:المصدر السابق، ج 2، ص 297 – 298 .

احد كونتات الجيش النصراني وجاء برأسه إلى المنصور، فضاعف المسلمون هجومهم فانقلبت موازين القوى وانتصر جيش المنصور في معركتهم(1).

وفي سنة 392 هـ / 1002 م، قام المنصور بأخر غزوة له وكانت إلى أراضي قشتالة ووصل بها حتى أحواز برغش حيث انتصر فيها، إلا أن المرض والإعياء داهماه فعاد مسرعا محمولا إلى قرطبة (2).

---

(1) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 69 – 72 .

(2) عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 455 .

ثالثا : علاقاته الدبلوماسية مع ملوك أوروبا

تذكر المصادر المعاصرة أن حكام قرطبة الأمويين قد أحاطوا بأنفسهم ابتداء من عهد عبد الرحمن الناصر مجموعة من المستشارين والوزراء بلغت أحيانا نحو اثني عشر رجلا، متخصصين في مختلف الشؤون والقضايا لا سيما في النواحي المالية والاقتصادية والتجارية والقضاء والدبلوماسية والحرب، ومعنى ذلك أنهم اعتمدوا في كثير من الأحيان على أتباع أسلوب السياسة والدبلوماسية قبل اللجوء إلى الحرب مع أعدائهم (1).

ويبدو أن الأمويين قد أقاموا سياستهم في عمومها على أساس الإستجابة لأي نداء مصالحة وصداقة من جانب دولة الفرنجة طالما تأكدوا من الرغبة الحقيقية في السلام(2)، وبهذا فقد أنشأت الخلافة الأموية في الأندلس علاقات ودية مع العديد من الدول غير إسلامية، فرحبت الأندلس بالسفراء القادمين إليها بأجمل ترحيب، فتم استقبالهم في الجناح المخصص للسفراء في قرطبة(3)، وقد ترك المؤرخون صور من هذه الاستقبالات والمشاهد المشهورة، ومثال عن هذا ما ذكره ابن خلدون في زيارة أم لذريق حيث يقول " في سنة خمس وستين وثلاث مئة وردت أم لذريق من بلاكش القومس بالغرب من جليقية، فخرج الحكم لتلقيها واحتفل لقدومها في يوم مشهود، فوصلها وأسعفها وعقد السلم لابنها كما رغبت وأحبت ودفع لها مالا تقسمه بين وفدها وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم للوداع فعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت . (4) "

وهذا فيما يخص العلاقات الدبلوماسية التي كانت قبل بروز شخصية الحاجب المنصور والذي سار على نفس الطريقة التي سبقته، فكانت علاقة المنصور مع الدولة البيزنطية علاقة ودية

---

(1) محمد محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقاتها بالامويين في الاندلس حتى اواخر القرن العاشر ميلادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، 1981، ص 217 .

(2) نفسه، ص 216 .

(3) عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة،ط 2، دار القلم، بيروت، ط 2، 1981، ص 319 .

(4) ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج 4، ص 315 - 316 .

بودلت فيها الهدايا وكان الإمبراطور البيزنطي آنذاك هو بازيل الثاني 976 هـ / 1025 م، الذي يعتبر عصره الطويل من ازهي عصور هذه الأسرة الإمبراطورية البيزنطية، وكذلك كانت علاقاته سلمية مع الإمبراطور الروماني اوتو الثالث 983 هـ / 1002 م وكان هذا الإمبراطور محب لسلام مشجعا للعلوم (1).

وأيضا توطدت العلاقات بين المنصور وبين بعض ملوك اسبانيا، مثل ملك نافار سانشو باركا حيث تزوج المنصور من ابنته التي اعتنقت الإسلام وتسمت باسم عبدة وأنجب منها المنصور عبد الرحمن(2)، أما بخصوص علاقاته مع مملكة ليون فانه لم تفد سفارات كثيرة بينهم ذلك أن الحروب في هذه الحقبة كانت هي الطاغية على العلاقات بين الطرفين(3)، وفي سنة 383 هـ / 993 م أرسل ملك ليون برمود الثاني ابنته تيريزا هدية للحاجب فاتخذها جارية ثم اعتقها وتزوجها، وقد ذكر بعض المؤرخين قول لها رد على بعض النبلاء الليونيين عندما كانوا يقودونها وهم في طريقهم إلى قرطبة حين رجوها ان تتوسط لدى المنصور لمصلحة بني جنسها، فقالت لهم " إن الأمة يجب أن تحافظ على شرفها لحروب رجالها وليس بجمال نسائها " (4).

---

(1) احمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص 246 - 247 .

(2) نفسه، ص 247 .

(3) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 92 .

(4) بروفنسال ليفي : تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية 711 - 1031 م، تعريب علي عبد الرؤوف البمبي وعلي إبراهيم موفي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 3، 2000، ص 469 .

الفصـــل الرابـــع :

أهم المظاهر الحضارية للدولة العامرية في عصره

أولا: الحيـاة العلميـة والأدبـيـة

ثانيـا: الوضع الاقتصـادي والاجتماعي

ثالثـا: الـناحيـة العمـرانية

رابـعا : وفـــاتـه

أولا : الحياة العلمية والأدبية

لقد نشطت الحركة العلمية والأدبية في الأندلس نشاط منقطع النظير وازدهرت في عهد بني أمية، وخاصة في العاصمة قرطبة التي نافست جميع حواضر العالم الإسلامي و الأوروبي آنذاك، ولم تكن في هذا الصدد الحركة العلمية مقتصرة على عناصر محددة من المجتمع بل شاركت فيها جميع طبقات المجتمع وشتى عناصره من بربر وموالي ومولدين ومستعربين، كما شاركت فيها المرأة أيضا، فكانت هناك جملة من الشاعرات والكاتبات والناسخات للمصاحف والمعلمات في المكاتب وغير ذلك (1).

وبناء على ما تقدم فأن حديثنا سيكون عن شخصية المنصور بن أبى عامر ومدى ما أسهم فيه من تطور في الحركة العلمية، وهذا انطلاقه من كونه صاحب الشأن في الدولة، فعند تتبع سيرة حياته نجده نشأ نشأة علمية، حيث كان تلميذ نبيها تجلت فيه ملامح الذكاء والفطنة منذ أن كان صغيرا واظهر نبوغا في دروسه، وكان لهذا التكوين العلمي والنشأة الثقافية اثر كبير في سلوك المنصور وموقفه من الحركة العلمية(2).

والجدير بالذكر أن الحركة الأدبية بلغت في عهده منزلة رفيعة حيث كان المنصور يوليها كامل رعايته واهتمامه، ولم يكن تشجيعه للشعراء مجرد استيفاء لمظهر من مظاهر السيادة بل كان ذلك لتذوقه وحسه بالروح الأدبية والشعرية (3).

وبالرغم من المشاغل السياسية الكبيرة للمنصور إلا أننا نجده يحتفظ طوال حياته بشغفه ولهفته العلمية والأدبية، ويوثق صلاته بالعلماء والأدباء والشعراء، ويؤثرهم بحبه وعطفه ويجمعهم

---

(1) حسين يوسف دويدار : المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138 هـ – 422 هـ ، مطبعة حسين الإسلامية ،القاهرة، ط1، 1994 ، ص396 .

(2) سعد عبد الله صالح البشري : المرجع السابق، ص 79 .

(3) نفسه، ص 80 .

حوله في أوقات فراغه وسويعات انسه ولهوه وساجلهم البحث والمناظرة وينافسهم في الشعر ذلك لأنه كان شاعرا (1).

ومن اخص جلسائه في الأدب الكاتب البغدادي و أبو العلاء صاعد بن الحسن الذي وفدى من المشرق إلى الأندلس سنة 380 هـ / 990 م، وهاته الفترة كان فيها المنصور بن أبى عامر في أوج سلطانه، فأراد المنصور منه أن يجعله قرينا لأبى القالي الوافد من قبل على الناصر والحكم المستنصر ، فأذن له أن يجلس بجامع الزاهرة يملي فيها كتابه المسمى بالفصوص على أدباء قرطبة، وهو كتاب مختص في الآداب والأشعار والأخبار، ونتيجة لبراعته الأدبية أعجب به المنصور وألحقه إلى ديوان الندماء واجزاه براتب حسنا، وكان إلى جانبه بهذا الديوان مجموعة من الأدباء لذلك العصر أمثال زيادة الله بن مضر الطبني وابن العريف وابن التياني وغيرهم(2)، كما وضع المنصور ديوان ينظم فيه أسماء الشعراء وينزلهم فيه حسب مراتبهم في الشعر، وقد أوكل آمر هذا الديوان إلى الأديب عبد الله بن محمد بن سلمة، والذي كان على جانب كبير من الأدب والمعرفة بالشعر وفنونه (3).

ومن الشعراء المقربين كثيرا إلى المنصور الشاعر أبو احمد بن محمد بن العاص بن احمد بن سليمان بن دراج الأندلسي القسطلي (347 هـ – 421 هـ / 957 م – 1030 م) ويعتبر من الشعراء البارزين والعلماء المتقدمين، فوصف انه لم يكن مثله بالأندلس في الشعر حيث قال فيه أبو المنصور الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر " كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام وهو احد فحول الشعراء وكان يجيد ما ينظم ..... "، وكان من جلساء المنصور ابن أبى عامر في ديوانه الذي كان يجمع فيه كوكبة من الشعراء، وقد حظي القسطلي بمكانة رفيعة عند المنصور،

---

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 578 .

(2) الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق إدارة إحياء التراث، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966، ص 75 .

(3) نفسه، ص 75 .

وحدث ذات يوم أن اقره المنصور بأن يعارض قصيدة أبى نواس التي مدح فيها الخصيب بن عبد الحميد صاحب الخراج بمصر، فعارضها القسطلي بقصيدة بليغة فائقة الإبداع حيث قال فيها :

الم تعلم أن الثواء هو الثوى وان بيوت العاجزين قبور

تخوفي طول السفار وانه لتقبيل كف العامري سفير(1).

وهذا بخصوص شعراء الأندلس الذين عاصروا فترة الحاجب المنصور ولا يمكننا أن نتكلم في هذا الميدان من دون الإغفال عن شعر المنصور، إذ كان شاعر ونظم العديد من الأبيات الشعرية في مختلف مناسبات حياته، وبخصوص شعر الفخر نجد في قوله :

رميت بنفسي كل عظيمة وخاطرت والحر الكريم يخاطر

وما صاحبي إلا جنان مشيع واسمر خطي وابيض باتر

واني لزجاء الجيوش إلى الوغى اسود تلاقيها اسود خوادر

فسدت بنفسي آهل كل سيادة وفاخرت حتى لم أجد من افاخر

وما شدت بنيانا ولكن زيادة على ما بنى عبد الملك وعامر

رفعنا العوالي بالعوالي مثلها وأورثناها في القديم معافر

وأيضا له شعر يهدد فيه الفاطميين بمصر ويمني نفسه بفتح مصر والشام ومن هذا نجد :

منع العين أن تذوق المناما حبا أن ترى الصفا والمقامة

لي ديون بالشرق عند أناس قد اخلوا بالمشعرين الحراما

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 581 .

إن قـضوها نـالوا الاماني وإلا جعلوا دونـها رقـابا وهـاما

عـن قرب تـري خيـول هشـام يـبلغ النـيل خطـوها الشـاما (1).

أما في مجال العلوم الدينية فقد لمع اسم الفقيه أبو مروان المعيطي وكذلك أبو عمر احمد بن عبد الملك، وابن الفرضي والفقيه المشهور ابن حزم، فكل هؤلاء العلماء اثروا ميدان العلم بما أضافوه من إنتاج علمي يساعدهم في ذلك ما هيأه لهم المنصور ابن أبي عامر من عون وكرم(2).

ولم يكن سخاء المنصور ورعايته للعلماء تقف عند حد، فقد ذكر تقديره وتبجيله للعلماء حتى عند وفاتهم، ويذكر انه عند وفاة الفقيه والقاضي محمد بن زرب (319 هـ - 381 هـ / 931 م - 991 م)، قد كتب لورثته كتاب رعاية وتكريم واستدعى ابنه محمد وهو طفل ومنحه الكثير من المال، وفي هذا يقول النباهي " وليس ذلك من أفعال المنصور ببدع فقد كان في حسن معاملته للناس والوفاء بمنزله لا يقول بوصفها كتاب، حتى يقال انه لا يأتي الزمان بمثله في فضله ولا ظفرت الأيدي بشكله " (3).

ومن أعلام الحديث نجد احمد بن موسى ابن نيق ويكنى بأبي بكر ، وكان رجل صالح وورع(4)، وأيضا الفقيه احمد بن عبد الله بن محمد بن شريعة اللخمي وهو من أهل اشبيلية وكان أيضا من أهل العلم وعارف بالحديث وإمام مشهور نشأ في العلم حيث قال فيه الخولاني " لم ترى عيني مثله في الحديث . (5) "

---

(1) نفسه، ص 581 .

(2) الحميدي : المصدر السابق، ص 111 .

(3) سعد عبد الله صالح البشري : المرجع السابق، ص 81 .

(4) ابن بشكوال : الصلة، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ج1، ص 79 .

(5) ابن الآبار : تكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ج 2، ص 281 .

والى هذا الاعتناء الكبير بالآداب والعلوم من قبل المنصور فإننا نجده إلى جانب هذا يقوم بجمع الكتب، كما كان أكابر المؤلفين يهدون إليه كتبهم على نحو ما كان متبع أيام الحكم المستنصر(1).

أما بخصوص علم الفلسفة فتشير المصادر إلى أن المنصور كان يمقت الفلسفة وما إليها ويرى أنها مخالفة للدين، فكان يكره التنجيم والمنجمين، وتشير إحدى الرويات بأن المنصور قد أمر بأن تستخرج كل كتب الفلسفة من المكتبة الأموية العظيمة، فأمر بحرقها بمحضر من كبار العلماء، وفي مقدمتها كتب أبو العباس بن ذكوان و أبو بكر الزبيدي وغيرهم، وكانت بهذا خسارة علمية فادحة، ويذم المستشرق سيموتيتي علة المنصور ابن أبي عامر هذا التصرف فيقول " إذا كان الحكم الثاني قد استطاع لنزعته العلمية والأدبية أن يحمي الفلاسفة فقد جاء المنصور من بعده فقام بحرق كتب الفلسفة التي كانت بمكتبة الحكم وذلك لكي يرضى الفقهاء "، واشتد المنصور أيضا في مطاردة المنجمين، وبلغه أن احدهم وهو محمد بن أبي جمعة يهجس في تنبؤاته بانقراض دولته، فأمر المنصور بقطع لسانه وقتله، فخرست بهذا السن المنجمين جميعا (2).

وهناك رواية تشير إلى أن سبب تخلص المنصور من كتب الفلسفة يعود إلى استمالته لقلوب العامة ومحاولة للغض من شهرة الحكم المستنصر في نفوسهم(3) ، فقد عادت عملية حرق الكتب الفلسفية بالسلب على شخصية المنصور، إلا أنها ليست العملية الأولى في التاريخ الأندلسي، فأن كان المنصور بن أبي عامر قد ضحى بكتب الفلسفة استرضاء لفقهاء قرطبة وتدعيم لمكانته في قلوب العامة، فإننا نجده ليس العمل الأول في التاريخ الأندلسي، فقد سبقه في ذلك الخليفة الناصر عندما قام بحرق كتب ابن مسرة القرطبي خارج باب جامع قرطبة لتضمنها عبارات وإشارات غامضة ومشبوهة عن منازل الملحدين (4).

---

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 580 .

(2) نفسه، ص 580 .

(3) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي " عصر سيادة قرطبة "، دار الثقافة ،بيروت ، ط 2، 1969، ص 75 .

(4) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، المرجع السابق، ج2، ص 166 – 167 .

وبهذا يعتبر المنصور بن أبى عامر من أهم الحكام الذين نهضوا بالعلم واحتضنوا الشعراء والأدباء، ففي عهده ظهرت شخصيات أدبية شرقية وأندلسية(1) ، كما برز في ميدان العلوم الطبيعية علماء كبار، ففي الطب نجد حسان بن جلجل الذي صنف كتابه في طبقات الأطباء والحكماء وفي الرياضيات والفلك برز العلامة سلمة بن احمد المجريطي وتلاميذه النوابغ أمثال ابن السمح وغيرهم، وفي ميدان التاريخ ظهر اشهر مؤرخ أنجبته الأندلس وهو أبو مروان ابن حيان بن خلف المولود سنة (377 هـ / 987 م)، وفي هذا الخصوص لسنا بصدد إحصاء من ظهر من نوابغ في عهد المنصور، إنما أردنا توضيح أن عصره كان خصبا معطاء في ميدان العلوم (2).

وقد أشار احمد هيكل إلى أن قوة الدفع الثقافي في عصر الحجابة كان في مستوى قوة الدفع في عصر الخلافة في الأندلس، فيعترف بفضل المنصور على الحياة العلمية فيقول " وربما كان من عوامل استمرار الثقافة الأندلسية في تلك الفترة على شيء من السير أن المنصور كان على صلة قديمة بالثقافة، فقد ارتبط بهذا منذ نشأته وانه كان على صحبة قوية بالعلماء "(3) .

---

(1) نفسه ، ص 167 .

(2) سعد عبد الله صالح البشري : المرجع السابق، ص 84 .

(3) نفسه ، ص 84 .

ثانيا : الوضع الاقتصادي والاجتماعي

لما افتتح المسلمون الأندلس كان الشعب الاسباني المغلوب في أمره ما يزال يعيش في ظل بقايا النظم الرومانية والتي اتخذها القوط أساس لحكمهم وتشريعاتهم ونظمهم الإدارية، وكان عبئ الضرائب يقع معظمه على طبقات الشعب الدنيا ولا يكاد يقع شيء على عاتق طبقة الأشراف ورجال الدين، فلما افتتح المسلمون شبه الجزيرة ، أقيمت الضرائب على مبدأ المساواة دون تمييز بين طبقة وأخرى، وفرضت الجزية على من لم يعتنق الإسلام من أبناء الشعب الأصلي، وكانت الأراضي الأندلسية المفتوحة كلها ذات مقابع زراعي وبالتالي كان خراج الأراضي الزراعية والجزية وأخماس الغنائم هي المصادر الرئيسية للدخل، وكانت حكومة قرطبة هي المسيطر على أخصب الأراضي لشبه الجزيرة الايبيرية، وكذلك كانت تربية الماشية موردا من أهم موارد الدخل القومي(1).

فخلف عبد الرحمن الناصر في بيت المال من بعد وفاته عشرين مليون من الذهب وهذا عدا ما أنفقه من أموال طائلة في مختلف الغزوات ومختلف المنشأة الباهرة التي أقامها، وهذا دليل على ضخامة ووفرة الموارد المالية للأندلس في عصر الخلافة (2).

أما بخصوص المنصور بن أبي عامر فان زمنه يسمى بفترة أواخر عصر الخلافة حيث حققت فيها موارد الدخل في عهده زيادة عظيمة(3)، وبهذا كانت الجزية أيامه تفيض سنويا بمبالغ ضخمة من المال من فوائض الدخل العام، مما ساعد المنصور على النجاح في جعل خزينة الدولة في أيامه عامرة على الدوام وتتغذى من فوائض مستمرة من المداخيل، ويرجع الفضل في نجاحه في إثراء الخزينة العامة إلى فهمه الدقيق لعمليات الجباية والإنفاق، فلقد تسلم منذ دخوله لقصر المناصب المالية، فقد كان أمين لدار السكة وأيضا مشرف على الخزانة العامة كما آلت

---

(1) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 690 .

(2) نفسه، ص 690 .

(3) نفسه، ص 690 .

إليه خطة المواريث في وقت من الأوقات، وحين صارت إليه الوزارة والحجابة كان على إلمام تام بأمور المال والضرائب، وبقي حتى نهاية حياته على اتصال وثيق بهذا القطاع الهام (1).

فقد حققت موارد الدخل في الأندلس في عصر المنصور زيادة عظيمة، حيث وصلت حصيلة الجباية إلى أربعة آلاف دينار سوى رسوم المواريث بقرطبة وكور الأندلس وسوى مال السبى والمغانم، وفي احد الأيام رغب المنصور أن يتصرف على مقدار ما يدخل قرطبة من جهاتها من أحمال الحطب في اليوم الواحد فوكل بهذه العملية بعض تابعيه، فأوردوه بسائر مداخل الطرق المؤدية إلى قرطبة وكتب كل واحد ما أحصاه فكان المجموع يقدر بستة آلاف وستمائة حمل من الحطب (2).

أما بخصوص مصاريف الدولة أيام المنصور بن أبى عامر نجد جلها تصرف على الجيش وغزواته، حيث كانت تزيد عن ثلاثة ونصف مليون دينار وهذا في أكثر الحالات وما كان يتبقى من المال من هذه النفقة يضيفه المنصور إلى بيت المال، ومثال عن مصاريف الحاجب المنصور في الجيش كتب أبو محمد عبد الله بن مروان أن محمد بن أبى عامر أحب الوقوف على حاصل الأطعمة في الاهراء عندما عزم على غزو برشلونة سنة 374 هـ/ 985 م، فارتفعت جملته إلى مائتي ألف مدى ونيف عليها، فلحق به العجب وقال في هذا الشأن أنا أكثر طعاما من يوسف الخازن (3).

ويرجع ازدهار الحالة الاقتصادية في الأندلس في عهده نتيجة لكثرة غزواته وانتصاراته فيها ورجوعه منها محمل بالغنائم والأموال، والسبب الأخر يتمثل في عنايته بقطاع الصناعة والتجارة والذي عاد بالثراء على أهل الأندلس بسائر طبقاته، والدليل على هذا فيما نجده من تجهيز أهل الأندلس لبناتهم عند زواجهم بالملابس والحلي والذهب، وهذا راجع إلى استقرار الأحوال

---

(1) عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق، ص 466 - 467 .

(2) ابن الخطيب : المصدر السابق، ق 2، ص 98 – 104 .

(3) محمد المنوني ومحمد بن عبود وآخرون : التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص80 .

الاقتصادية وانعكاسها على المجتمع الأندلسي الذي بانت عليه معالم الثراء والبذخ في عهد المنصور، وفي هذا يقول المراكشي انه عقب وفاة المنصور بن أبي عامر خرج الناس صائحين " مات الجلاب مات الجلاب " والجلاب كلمة كانت تطلق على بائع الدواب أو على بائع الرقيق، ولكنها أطلقت هنا بمعنى مجازي مستحب يراد به مدح المنصور كقائد عظيم غمرهم بالسبايا والهدايا عقب عودته من غزواته العديدة(1)، وانطلاق من هذا الواقع ترك المنصور بعد وفاته خزينة عامرة من المال تشهد بعظيم كفاءته في إدارة الشؤون المالية في الأندلس (2).

أما بخصوص التركيبة الاجتماعية للأندلس نجدهم ينقسمون من ناحية الجنس والدين إلى عرب وصقالبة ومولدين ومستعربين ويهود، وكانوا ينقسمون من الناحية الاجتماعية إلى طبقتين طبقة الخاصة وطبقة العامة، أما الخاصة فكانوا سلالة من أعيان العرب الفاتحين من سلالة عبد الرحمن الداخل وأهله، وهؤلاء هم أعيان البيت أو أهل قريش أو بنو هاشم، ومن هؤلاء كان الأمير أو الخليفة يختار منهم خاصة الدولة وكبار أهل الخدمة، ومنهم نشأت كبار البيوت في قرطبة ومن أشهر الأسر نجد أسرة بن جهور وابن شهيد وبني الطبني، أما فئة الموالي سواء كانوا صقالبة أو عرب كانوا ينسبون إلى الطبقة الخاصة، إضافة إلى فئة أخرى كانت تعمل في القصر تسمى بفئة الغلمان والتي كان ينبثق منها طبقة أخرى تسمى بالفتيان أو الفتيان الكبار، والى جانب طبقة الغلمان كانت طائفة أخرى تسمى بفئة الخصيان وكان معظمهم من أسرى الحروب الذين كانوا يشترونهم تجار اليهود وينقلونهم إلى الأندلس(3)، أما طبقة العامة فكانت تشمل معظم أهل الأندلس وكانت تتكون من أرباب الصناعات والعمال والخدم وكانت تضم كذلك فئة يطلق عليها الرواة بفئة الغوغاء، وكانت هذه الطبقة تميل في غالب الأمور إلى الشغب وإثارة القلاقل (4).

---

(1) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ص 84 .

(2) عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق، ص 466 .

(3) احمد فكري : المرجع السابق ص 248 – 249 .

(4) نفسه، ص 251 .

إلا أن المنصور في بدايات حكمه قلل من أهمية الصقالبة وذلك في نفي الكثير منهم إلى خارج البلاد، كما قام بإدخال طبقة جديدة في الجيش الأندلسي وهي طبقة البربر الوافدين من العدوة المغربية، حيث اعتمد عليهم المنصور بشكل كبير في توطيد سلطانه فازداد عددهم في عهده فأصبحوا يشكلون طبقة غالبة في المجتمع الأندلسي(1)، أما الطبقة المقدمة في الأندلس كما اشرنا هي الطبقة الخاصة فقام المنصور بتشتيت هذه الطبقة وفرق جمعهم وقطع التحامهم وتعصبهم، وهذا راجع إلى خطرهم على حكمه لأنها طبقة موالية للخليفة هشام المؤيد الذي حجره المنصور (2).

(1) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 514 – 515 .

(2) احمد فكري، المرجع السابق، ص 249 .

ثالثا : الناحية العمرانية

تمتعت الأندلس في عهد الخلافة الأموية بالقوة والرخاء والاستقرار حيث بلغت السلطة الإسلامية في الغرب أوج مجدها في هذه الحقبة، تبوأت فيها العاصمة الأموية بالأندلس قرطبة مركز ساميا جعلها أعظم مدن أوروبا ثقافة، فاعتزت بما كانت تحتويه إذ كان فيها مائة وثلاثة عشر ألف دار وواحد وعشرون ضاحية وسبعون مكتبة وحوانيت شتى تباع فيها الكتب والعديد من المساجد والقصور، فحازت بذلك شهرة عالمية وأخذت من أهل الأسفار بمجامع القلوب ونعمت بشوارع طولها أميال مضاءة بقناديل المنازل المحاذية (1).

فكثر العمران واتسع وتقدمت العلوم والفنون وكثرت المدارس والجامعات وأنشئت المكتبات الكثيرة وبهذا وصفت قرطبة بأنها جوهرة العالم، فأشاد بها العديد من كتاب الأندلس بمكانتها وأحوالها، وينقل لنا المقري عن ابن سعيد في وصف جميل للأندلس وذلك في قوله " إنها جزيرة قد أحدقت بها البحار فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة مابين قرى ومياه ومزارع ،والصحاري فيها معدومة ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون "(2).

أ- توسعته لمسجد قرطبة :

يعتبر المسجد الجامع بقرطبة من أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط، حيث نجد أن قرطبة الأوروبية إلى يومنا هذا مازالت تحتفظ بأثر من أعظم الآثار الأندلسية وهو المسجد الجامع الذي عاصر أيام عظمتها الذاهبة منذ بدايات الدولة الأموية بالأندلس والى غاية زمن الفتنة والثورات المتعاقبة، ويقوم هذا الأثر الإسلامي العظيم فوق بقعة صخرية تقع في نهاية جنوب غربي قرطبة على مقربة من القنطرة العربية القديمة المقامة نهر

---

(1) فيليب حتي: العرب تاريخ موجز ،دار العلم للملايين ،بيروت ، ط 6، 1991، ص 175 .

(2) عبد الرحمن على الحجي : المرجع السابق، ص 314 - 315 .

الوادي الكبير وتحيط به الدروب الضيقة من جوانبه الأربعة وتبدو على جدرانه وواجهاته الخارجية أثار القدم (1).

وعند تتبع تاريخ بناء هذا المسجد نجده شهد أعمال توسعية على يد مجموعة من الخلفاء وكان لهذا الصرح العمراني الضخم عظمة ومكانة كبرى عند المسلمين، ومن مظاهر إجلال هذا المسجد نذكر مجموعة من الأقوال لكبار مؤرخي العرب، فقد أطلق عليه المراكشي اسم الجامع الأعظم، وكذلك وصفه الإدريسي في قوله " وفيها الجامع الذي ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميقا وطولا وعرضا "، وقال فيه الحميري " وفيها المسجد الجامع المشهور أمره الشائع ذكره من اجل مصانع الدنيا كبر ساحة وإحكام صنعة وجمال هيئة وإتقان بنية "(2)، وكان يقول فيه القاضي أبو محمد بن عطية :

بأربع فاقت الأمصار قرطبة ... منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ... والعلم اكبر شيء وهو رابعها.

وقد بدا ببناء هذا المسجد الأمير عبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش(3)، واستمرت فيه الزيادة والتوسعة على يد مجموعة من الخلفاء حيث كانت فيه الزيادة الأخيرة على يد المنصور بن أبي عامر، حيث بدا في توسعته سنة 377 هـ / 987 م، حيث أضاف إليه ثمانية أروقة من الجهة الشرقية وذلك نظرا لاتصال الجانب الغربي منه بقصر الخلافة، فوصلت بذلك جملة البلاطات إلى تسع عشر بلاطة وذلك لتزايد عدد الناس بقرطبة وخاصة من البربر الذين اعتمد عليهم المنصور واستكثر منهم واعتمد عليهم، وقد كان قصد المنصور من توسعته للمسجد هو إتقان البناء والمبالغة في إحكام البنية دون الإكثار في الزخرفة، وبالرغم من ذلك إلا أن الزخارف لم تكن تقل عن سابقتها في الروعة والجمال(4) .

---

(1) محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، المصدر السابق، ص 20 .

(2) السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،1986 ،ص 09 .

(3) حسين يوسف دويدار: المرجع السابق، ص 205 .

(4) نفسه ، ص 214 - 215 .

أما بخصوص الجهة الشرقية فعند توسعة المنصور لهاته الجهة نجدها مليئة و عامرة بالدور والمستغلات، وكان في مقدور المنصور أن ينتزع ملكية هذه الدور من أصحابها ويعوضهم عنها بإنصافهم، فكان أول ما فعله المنصور هو تطيب نفوس أرباب الدور الذين اشتريت منهم الأخير، وهدمت وقامت على أرضها الزيادة الجديدة، واستغرقت زيادة المنصور عامين ونصف وكان المنصور يعمل فيها بنفسه، كما استخدم الأسرى المسيحيين في عملية البناء وجعل من نواقيس النصارى التي غنمها في غزوته بشنت ياقب ثريات في زيادته واستخدم فيها أيضا أبواب كنيسة شانت ياقب، وكان من الطبيعي أن يهدم بناؤي المنصور الجدار الشرقي القديم للمسجد والذي يحصر الحد الشرقي للصحن وهذا لزيادة اتساعه ويقيم مكانه جدار شرقي جديد للجامع وأوصله كله بالقسم الزائد من جهة القبلة وفتح في هذا الجدار الشرقي أبواب(1)، وبلغ عددها ثمانية وهو نفس عدد الأبواب المؤدية إلى بيت الصلاة في الجدار الغربي، فأصبح في بيت الصلاة ستة عشر باب، يضاف إليهما بابان جانبيان يصلان بالصحن في المنتصف، وللإشارة فان جميع هاته الأبواب مغلفة بالنحاس وهي حسنة المظهر وفي كل باب حلقة (2).

وعلى الرغم من أن زيادة المنصور هي مشابهة نوعا ما لزيادة الحكم المستنصر، إلا أنها تحمل بعض الاختلاف إذ نجد الحجارة في عهد المنصور قد طليت باللون الأحمر حتى يوهم الناظر أنها مصنوعة من الأجر الأحمر وبذلك تتم المحافظة على الايقاع اللوني، إلا أن المنصور قد قلد الحكم المستنصر في استخدام الكوابيل المزدوجة والتي تتكون من ست لفائف زخرفية (3).

ويعكس المسجد الجامع بقرطبة التأثيرات السورية سواء في زخارفه المعمارية أو في نظام عقوده المزدوجة وكذلك نظام سقفه أو في وضع المئذنة أو في تصميم المجنبات حول الصحن(4).

---

(1) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، المرجع السابق، ج 1 ، ص 348 – 349 .

(2) السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور في الاندلس، المرجع السابق، ص 27 – 28 .

(3) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، المرجع السابق، ص 349 .

(4) حسين يوسف دويدار : المرجع السابق، ص 216 .

ب – مدينة الزاهرة :

من أهم الانجازات المعمارية للمنصور تأسيسه لمدينة ملكية جديدة اتخذها مركز مستقل للإدارة والحكم واتخذها مظهر من مظاهر السلطان وسميت هذه المدينة بالزاهرة(1)، فأقامها المنصور على نهر الوادي الكبير وغدت منافسة لمدينة الزهراء التي بدأها الناصر وأكملها المستنصر، ويعبر الفتح ابن خاقان عن ذلك بقوله " عندما استفحل أمره واتقد جمره وظهر استبداده ،سما الى ما سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحل به أهله ونويه ويضم إليه رياسته ويتولى تدبيره وسياسته ،ويجمع فيه فتيانه وغلمانه " كما يذكر المقري أيضا انه بني على طريق المباهاة والفخامة مدينة العامرية ذات القصور والمتنزهات المخترعة كمنية السرور وغيرها من مخترعاته العجيبة "(2) .

وقد شرع المنصور في بناء هذه المدينة سنة 368 هـ / 978 م، فحشد لها الكثير من العمال وجلب إليها ما تحتاجه من مواد البناء، فقد وسع المنصور في تخطيطها فامتدت رقعتها امتداد كبير ووضع لها أسوار عالية وفتح فيها عدت أبواب ونجد منها باب الفتح وباب السباع وباب الجنان، وقد استغرق فيها البناء مدة عامين، فنقل إليها المنصور أمتعته واتخذ فيها الدواوين ودعي إليها وزرائه وكتابه، وشيدت بها المنازل الكثيرة وقامت بها الأسواق واتسع امتدادها حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة(3) .

وكتب المنصور بن أبى عامر إلى كل أقطار الأندلس والعدوة المغربية أن تحمل إلى مدينته الزاهرة كل الأموال والجبايات، ويقصدها أصحاب الولايات، فأتاها جميع الناس من كل الأقطار(4)، وكان المنصور قد رتب جلوس الوزراء والشيوخ بها، وجلب إليها أرباب الخطط وجعلها

---

(1) عصام الدين عبد الرؤف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس ،مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ،1990، ص 222 .

(2) حسين يوسف دويدار ،المرجع السابق ،ص 248 – 249 .

(3) نفسه، ص 249 .

(4) الحميري، المصدر السابق، ص 284 .

مقرا للشرطة وعين عليها والي على النحو المعمول فيه بالزهراء سابق، كما أقام بها مسجد جامع لتكتمل بذلك كل مرافقها وتصبح مدينة مستقلة بذاتها وهكذا حلت مكان الزهراء، وأصبحت قاعدة الحكم ومركز السلطة، وغدت مركزا للاحتفالات السياسية الكبرى ومكان لاستقبال الملوك والأمراء الأجانب، فقد استقبل بها المنصور ملك بنبلونة شانجة سنة 382 هـ/ 992 م، بالرغم من وجود الخليفة هشام المؤيد في قصر الزهراء (1).

ومن أشهر المنيات فيها منية العامرية والتي كان يقضي فيها المنصور الكثير من أوقاته مع خاصته، وقد احتفى بها الكثير من الشعراء بسبب سحر حدائها وروعة جمالها ،ومنهم يروي لنا ابن سعيد ابن العريف حين دخل على المنصور بها ومعه صاعد البغدادي فقال منشدا :

فالعامرية تزهى على جميع المباني

وافت فيها كسيف قد حل في غمدان

فقام صاعد وكان منافس له فقال :

يا أيها الحاجب المعتلى على كيوان

ومن به قد تناهى فخار كل يمان

العامرية أضحت كجنت الرضوان

فريدة لفريد مابين اهل الزمان(2).

بالإضافة إلى المباني العمرانية التي شيدها الحاجب المنصور قام أيضا ببناء قنطرة على نهر الوادي الكبير ، وقد استغرق بناؤها نحو سنة ونصف ،حيث ابتدأ فيها سنة 378 هـ / 988 م

---

(1) حسين يوسف دويدار : المرجع السابق، ص 349 .

(2) نفسه، ص 350 - 351 .

وفرغ منها في منتصف سنة 379 هـ / 989 م، وقد انفق على هذه القنطرة مائة وأربعين ألف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدرا في مناقبه الجليلة، كما قام ببناء قنطرة أخرى على نهر شنيل لدى مروره بمدينة استجة فسهل بها عبور الطرق الوعرة والشعاب الصعبة(1)، ويفهم من روايات بعض المؤرخين أن سياسة التعمير والإنشاء التي سلكها المنصور لم تقتصر على بلاد المسلمين في الأندلس فحسب بل شملت أيضا بلاد النصارى التي قام بغزوها ولا سيما تلك القريبة من الحدود الإسلامية (2).

(1) محمد عبده حتاملة : المرجع السابق، ص 412 .

(2) احمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص245 .

رابـعا : وفـاتـــه

كان المنصور دائم التمني أن يلقى ربه ويتوفى وهو في ساحة القتال، وكان شديد الإيمان بإجابة دعائه، وكان في كل غزوة يصطحب معه كفنه، ولما كان القران الكريم يشير إلى أن الله عاصم من النار وجوه عفروا إقدامهم بتراب الجهاد ونتيجة لهذا بادر المنصور إلى جمع كل ما يعلق بثيابه من التراب في جميع غزواته ويحتفظ بها في صرة أعدها لهذا الغرض ،وأمر أن يجعلوا من هذا التراب الذي معه شهيد عليه في قبره عسى أن يكون شفيعا له عند العرش (1).

وفي سنة 392 هـ / 1002 م، قام المنصور بأخر حملة في مسيرته وكانت وجهته برغش وأراضي كونتينة بقشتالة، وقد احتلها المنصور وهزم قواتها وهو في الطريق إلى برغش(2) أحس المنصور بالمرض، وما لبث قليل إلا واشتدت به العلة، فاختلف الأطباء في معرفة مرضه وطريقة علاجه ،فأحس المنصور من هذا بدنو اجله فأمر بأن يحمل إلى مدينة سالم وهو يعد في أيامه الأخيرة كان شغل باله كله حول أمور قرطبة من بعده وبنائه الشامخ الذي أقامه فيها والذي يرتكز على شخصه بالذات وكان يشعر بأن أعداء كثيرين له ولنظامه يتربصون بقرطبة وينتظرون الفرصة المناسبة للقضاء على الأسرة العامرية، فكان يعرف انه ترك لورثته أعداء كثيرين يكرهونه وهذا لاعتبارات كثيرة ومتعددة (3).

ولما أيقن بالوفاة استدعى ابنه عبد الملك الملقب بسيف الدولة وأملى عليه وصيته الأخيرة، وقد نقلها إلينا ابن حيان عن أبيه خلف بن حسين وهذا نصها، " يأبني لست تجد انصح لك ولا أشفق عليك مني ،فلا تعدين وصيتي، فقد جردت لك رأيي ورويتي، على حين اجتماع من ذهني فأجعلها مثال بين عينيك، وقد وطأت لك مهاد الدولة وعدلت لك طبقات أوليائها وغايرت لك بين دخل المملكة وخرجها واستكثرت لك من أطعمتها وعددها وخلفت لك جباية تزيد على ما ينوبك

---

(1) رينهرت دوزي : المرجع السابق، ص 145 .

(2) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، 2004، ص 401 .

(3) عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق، ص 469 .

لجيشك ونفقتك، فلا تطلق يدك في الإنفاق ولا تقبض لظلمه العمال فيختل أمرك سريعا، فكل سرف راجع إلى اختلال لا محالة، فأقصد في أمرك جهدك واستثبت فيما يرفع أهل السعاية إليك والرعية قد استقصيت لك تقويمها وأعظم مناها أن تأمن البادرة، وتسكن إلى لين الجنبة وصاحب القصر قد علمت مذهبه وانه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه ،والآفة ممن يتولاه ويلتمس الوثوب باسمه فلا تتم عن هذه الطائفة جملة ،ولا ترفع عنها سوء ظن وتهمة، وعاجل بها من خفته على اقل بادرة ،مع قيامك بأسباب صاحب القصر على أتم وجه ،فليس لك ولا لأصحابك شيء يقيكم الحنث في يمين البيعة، إلا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة، فأما الانفراد بالتدبير دونه مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه ،فاني أرجو إني وإياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة والمال المخزون عند والدتك ،هو ذخيرة مملكتك وعدة لحاجة تنزل بك ،فأقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لا تبذلها إلا عند الشدة ،تخاف منها على سائر جسدك، ومادة الخراج غير منقطعة عنك بالحالة المعتدلة، وأخوك عبد الرحمن قد صيرت إليه في حياتي ما رجوت أني قد خرجت له فيه عن حقه من ميراثي، وأخرجته عن ولاية الثغر، لئلا يجد العدو مساغا بينكما في خلاف وصيتي فيسرع ذلك في نقض أمري، ويجلب الفاقرة على دولتي، وقد كفيتك الحيرة فيه، فأكفه الحيف منك عليه، وكذلك سائر اهلك فيما صنعت فيهم، بحيث مما قدرت به خلاصي من مال الله الذي في يدي، وخلافتك بعدي اجدى عليهم مما صرفته، فلا تضيع أمر جميعهم، وألحظهم بعيني فانك أبوهم بعدي، فان انقادت لك الأمور بالحضرة فهذا وجه العمل، وسبيل السيرة، وان اعتصت عليك فلا تلقين بيدك إلقاء الأمة، ولا تبطر بك وأصحابك السلامة، فتنسوا مالكم في نفوس بني أمية وشيعتهم بقرطبة ،فان قاومت من توثب عليك منهم ،فلا تذهل عن الحزم فيهم ،وان خفت الضعف فانتبذ بخاصتك وغلمانك، إلى بعض الأطراف التي حصنتها لك، واختبر غدك إن أنكرت يومك ، وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك فاني اعرف ذنبي إليهم " (1).

(1) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص 581 – 582 .

وهذه وصيته لغلمانه نقلها إلينا أيضا ابن حيان عن أبيه :

" تنبهوا لأمركم وحفظوا نعمة الله عليكم، في طاعة عبد الملك أخيكم ومولاكم ولا تغرنكم بوارق بني أمية ومواعيد من يطلب منهم شتاتكم، وقدروا ما في قلوبهم وقلوب شيعتهم بقرطبة في الحقد عليكم فليس يرأسكم بعدي أشفق عليكم من ولدي ،وملاك أمركم أن تتسوا الأحقاد ،وان تكون جماعتكم كرجل واحد ،فانه لا يفل فيكم " (1).

ومن خلال هذه الوصية المزدوجة لابنه ولغلمانه تظهر ملامح من صورة المنصور وشخصيته السياسية، ومع أن الوصية واحدة في الحقيقة، لان الثانية بمثابة ذيل للأولى وتكملة لها، فإن إعلان موقفه من بني أمية وشيعتهم، والدعوة على الحذر منهم قد تكررت فيهما معا، مما يجعل ذلك فكرة محورية يركز عليها أكثر من غيرها، وهو موقف يدل على ما وراءه، ويعكس حقيقة الخلاف بينه وبين الأمويين (2).

أما طريقته فتتميز بمهارة وقدرة على اختيار الألفاظ والعبارات، والتصرف فيهما في أسلوب مرسل في الغالب، بعيد عن التكلف أو الزخرفة، واضح المعاني، قوي الحجة، ولاغرو في ذلك، فقد كان المنصور في بداية حياته كاتبا للرسائل، وكان أسلوبه من جملة الوسائل التي ساعدته على الارتقاء، على جانب ذكائه وحنكته بعد نظرته، وبذلك يظهر جانب آخر من جوانب شخصية المنصور المتعددة، وهو شخصيته الأدبية في مجال النثر السياسي، كما أن ظروف الوصية جعلتها بعيدة عن الصنعة والتكلف والتنميق، تعتمد البساطة والمباشرة في التعبير، ولكنها لا تخلو من القيمة الفنية التي تجعلها من ابرز نماذج فن الوصايا على عهد الأمويين في الأندلس(3) .

---

(1) نفسه، ص 582 .

(2) علي لغزيوي : فن الوصايا على عهد الأمويين، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية، ع 233، ربيع الأول 1404 هـ، ص 56 .

(3) نفسه، ص 56 .

وعند نهاية الوصية وعده ابنه عبد الملك بإتباع نصائحه والعمل بها غير أن اضطراب المنصور كان قد بلغ درجة وصل الأمر به انه كلما هم ولده بالانصراف يرجعه المنصور إليه خوف من نسيانه لشيء لم يقله له ، وحدث أن بكى عبد الملك فنهره المنصور على ذلك، وعند انصراف عبد الملك استجمع المنصور قواه بعض الشيء ودعا احد قادته الذي كادا أن لا يعرفه لشدة اصفرار وجهه وأوشك المنصور على فقدان الكلام ،فودعهم بحديث لا يفهم أكثره وعمدا في ذلك إلى الإشارة لتفسير على ما عجز عليه لسانه في التوضيح، ثم لم يلبث وان لفظ أنفاسه الأخيرة، وذلك في مساء الاثنين العاشر من شهر اغسطس 1002 م الموافق للسابع والعشرين من رمضان 392 هـ، ودفن بمدينة سالم وقد نقش على قبره هذان البيتان :

أثـــاره تنبيك عـن أخبـاره حتـــى كأنـــك بالعيـون تـراه

تالله لا يأتـي الزمـان بمثلـه أبـدا ولا يحمـي الثغـور سـواه (1).

وبهذا يعتبر المنصور بن أبى عامر من اكبر ملوك الأندلس سلطان وعلما وفضل وإحسان وله في إدارته المثل الأعلى، وكان الناس يتحدثون في جميع الجهات بما كان له من جميل المنعوت وعظيم الصفات وبعد النظر والفكر ومن أجمل ما قاله المنصور نجده في هذه الأبيات :

رميت بنفسـي هول ل عظيمـة وخاطرت والحر الكـــريم يخـاطـر

وما صـاحبي إلا جـنان مشيع واسمـــر خطـي وابيـض باتـــر

فسدت بنفسـي أهل كل سـيادة وفاخرت حتى لم أجـد ما يفـاخر(2).

وقد أحدثت وفاة المنصور في الأوساط المسيحية الاسبانية موجة من الفرح وذلك نجده في مجمل كتابات الرهبان في الكنائس والأديرة ومن الكتب تقول عنه " في سنة 1002 م مات

(1) رينهرت دوزي : المرجع السابق، ص 146 .
(2) محمد لبيب لبتوني : المرجع السابق، ص 69 - 70 .

المنصور ودفن في الجحيم "، ولاشك إن هذه الكلمة التي أودعها راهب مسيحي تدل على الكراهية الكبرى التي كان يكنها النصارى لهذه الشخصية المسلمة والواقع انه لم يكن للنصارى في الجزيرة من خصم كهذا الخصم ، فقد شن عليهم أكثر من خمسين غزوة وخرج منها ظافر ،وبهذا أصبحت قلوب النصارى ترجف لذكر اسمه (1).

(1) ستانلي لين بول : قصة العرب في اسبانيا، ترجمة علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر،2012 ،ص110.

الخـــــاتمـة

ومن خلال ما تم تقديمه في هذه الدراسة نستخلص جملة من النتائج، إذا كان المنصور بن أبي عامر قد استبد بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد بالله، إلا انه راعى للخلافة حقها فأبقى للخليفة رموز الخلافة من ذكره في الخطبة ونقش اسمه في السكة، كما أوصى ابنه عبد الملك بالإبقاء على الخلافة والمحافظة على حقوقها، إلا انه في الوقت الذي حفظ فيه الخلافة فقد شاركها في نفس الوقت في مظاهر السلطان، فذكر اسمه في الخطبة مع اسم الخليفة ونقش اسمه معه في السكة، وبنى مدينة الزاهرة وجعلها مقرا لدولته ونقل إليها الأموال حتى أصبحت تنافس مدينة الزهراء عاصمة الناصر وابنه الحكم المستنصر، وبهذا فقدت الخلافة الأموية في الأندلس هيبتها منذ أن تقلد فيها المنصور الحكم، حيث أبقى على المظهر الشكلي للخلافة وبهذا ذهبت مكانتها قبل سقوطها الرسمي عام 422 هـ / 1031 م .

كان للمنصور محمد بن أبي عامر الفضل في الحفاظ على وحدة البلاد الأندلسية، بل زادها قوة وازدهارا، وذلك لما يتمتع به من خصال وصفات حسنة، وفيما يخص جهاده مع الملوك النصارى، اثبت لهم انه ليس بأقل قوة من سابقيه ، بل تغيرت السياسة الخارجية لدولة الإسلام بالأندلس في عهده، إذ نلاحظ أن طبيعة العلاقات الإسلامية النصرانية قبل أيامه كانت في الأغلب عبارة عن ردود فعل إسلامية لهجمات نصرانية، أو حرب يبدأها المسلمون لرد خطر محتمل، أما في عهده فقد تغيرت طبيعة الصراع، إذ نجده دائما سباقا في شن الحرب على النصارى، حيث بلغت غزواته في السنة غزوتين على مدى ستة و عشرين سنة حتى سميت بالصوائف والشواتي، وكان يهدف من وراء ذلك بالدرجة الأساسية إلى تحطيم الممالك النصرانية والقضاء على وجودها بشكل نهائيا، وبهذا انتقل بالدولة الإسلامية من حصن الدفاع إلى شن الهجوم .

ورغم كثرة غزوات المنصور على الممالك النصرانية، إلا انه لم يستطع إزالتها بشكل نهائيا لان الوضع الخارجي لم يحقق طموحاته، ذلك انه كان دائم في صراع مع الفاطميين لبسط السيادة على المغرب، وقد اثر هذا الوضع على حركة الجهاد ضد النصارى في الشمال الاسباني، حيث اضطره الصراع مع الفاطميين أن يحارب على جبهتين، الأولى في الشمال

الاسباني والأخرى في العدوة المغربية، وكان بإمكانه القضاء على الممالك النصرانية بشكل كامل، لو لم يكن الصراع قائما بين الدولة العامرية والخلافة الفاطمية .

ونتيجة لسياسته تجاه النصارى، أصبح الملوك المسيحيين يفدون عليه جماعات تلوى جماعات للتقرب منه، حاملين معهم هداياهم القيمة ومصطحبين أبنائهم رهينة لديه، وكان المنصور بن أبي عامر بدوره يقابل تلك الوفود باستقبالات رائعة يحضرها الأدباء والشعراء، حيث يلقون القصائد في مدحه والتغني بعظمة الخلافة في عهده، وبالرغم من هذا لم يكن المنصور يغفل عن جانب الحذر والحيطة من هؤلاء النصارى وأمرائهم، فجعل العيون في الثغور لتتبع حركاتهم خفية، وعندما كانت تحدث من احدهم أي بادرة تدل على خروجهم عن طوعه كان يسارع إلى حربهم وهذا دليل على حنكته وفطنته وعدم تساهله مع أعدائه .

وفي ظل هذه الأحداث لم يكن ازدهار الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر من الناحية السياسية والعسكرية فحسب، بل من حيث النهضة العلمية وتطور العمران والحياة الاجتماعية، وذلك نتيجة للعناية الفائقة التي بذلها لرفع مستوى الحياة العلمية ومستوى المعيشة، وخلق الأجواء المناسبة للابتكار والإبداع، وبهذا وجد أهل العلم من المشارقة والمغاربة على حد سواء كل التقدير والرعاية والتشجيع، فكان عهده عصرا ذهبيا تبوأت فيه الأندلس مكانة مرموقة بين بلدان العالم الإسلامي والأوروبي معا .

وإذا نظرنا إلى اهتمامه بالناحية العمرانية، نجد من أمثلتها توسعته لمسجد الجامع بقرطبة الذي أصبح من أجمل جوامع العالم ببدائع نقوشه وكتاباته، أما محرابه فكانت تضرب به الأمثال من حيث جماله وروعة نقوشه ، ولم يكتف بأن تقام فيه صلاة الجمعة والجماعات في أوقاتها بل حوله إلى جامعة تزدان أروقتها بالعلماء الإجلاء الذين كانوا يقومون بالتدريس فيها، فضلا عن الاهتمام بالمنشاة العمرانية الأخرى وعلى رأسها بناء مدينة الزاهرة والتي اتخذ منها عاصمة له، وقد بلغت قرطبة في عهده شأن كبيرا من التقدم الحضاري كما يتضح من وصف المؤرخين لها، وأما

الملاحق

ملحق (01) جدول بياني لعصر الخلافة الأموية بالأندلس

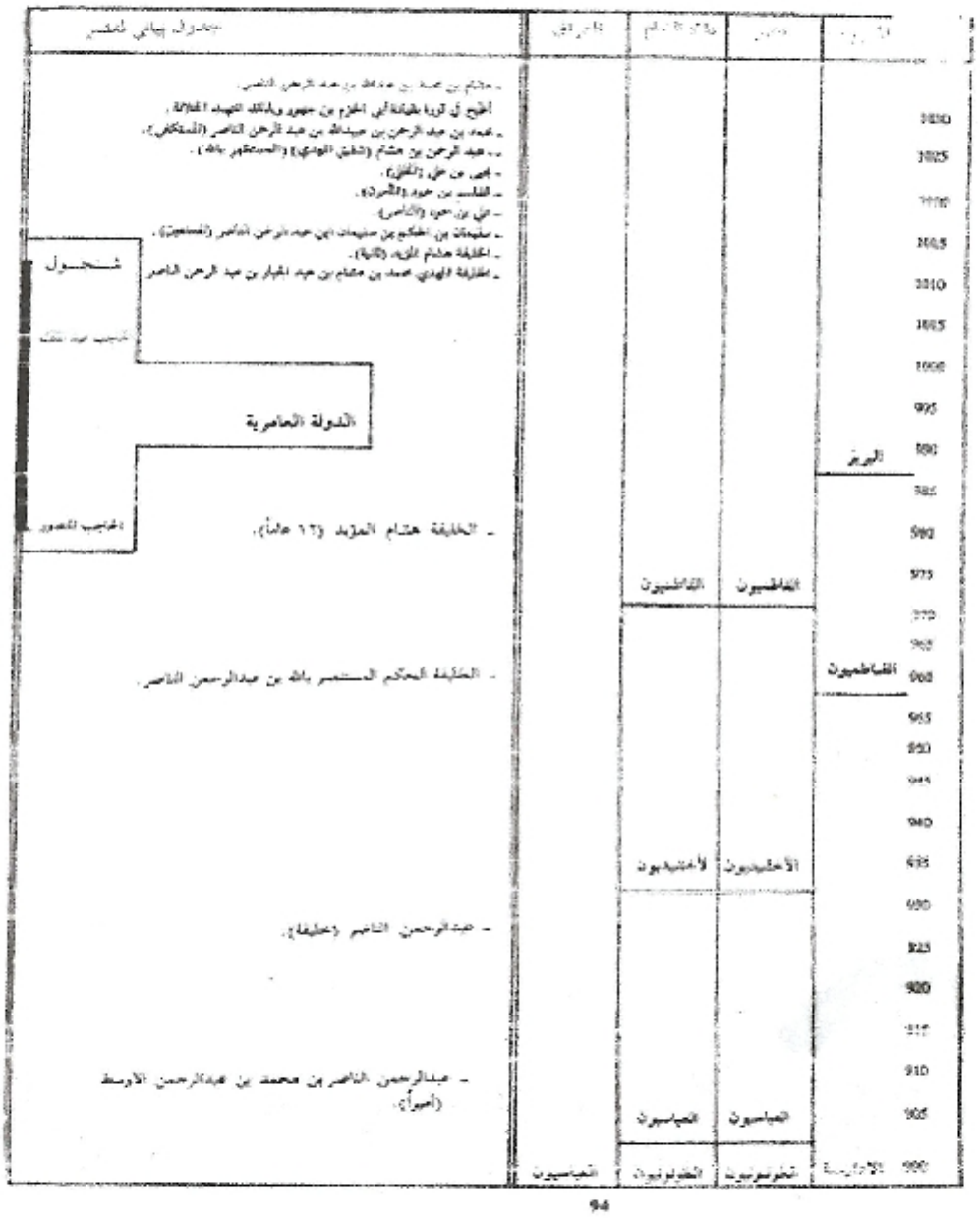

عدنان فائق عنبتاوي، المرجع السابق، ص 94 .

ملحق (02)

حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 1، 1987، ص 172.

ملحق (03)

طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور، الإبداع الفكري، الكويت، ط 1، 2005 . ص 238 .

ملحق (04)

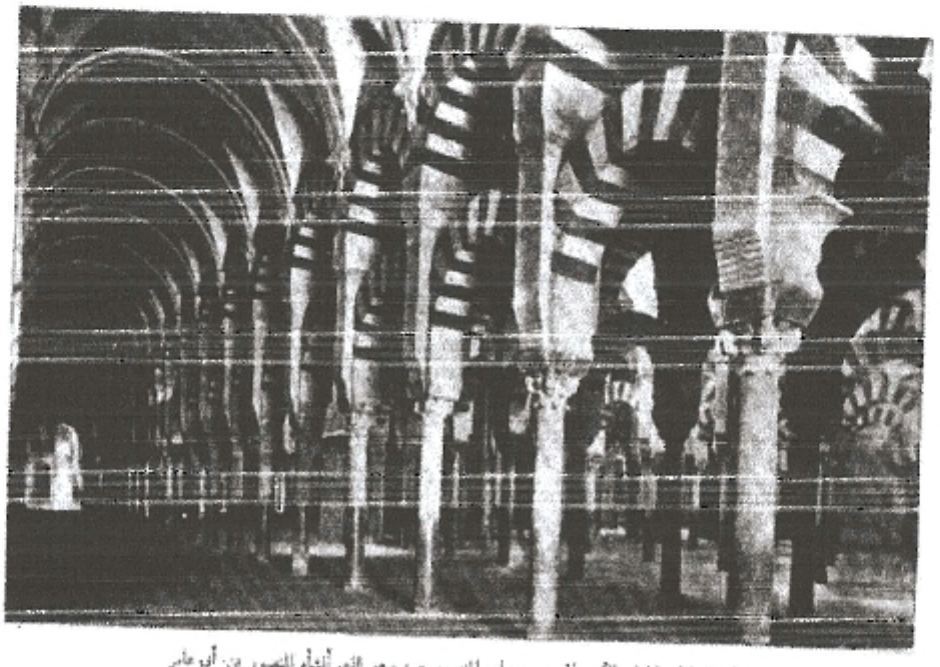

جامع قرطبة . الجناح الأخير المسمى « جامع المنصور » ، وهو الذي أنشأه المنصور بن أبي عامر
سنة ٣٧٧ - ٣٨٠ هـ (٩٨٧ - ٩٩٠ م) وما يزال قائماً على حاله حتى اليوم .

محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، المرجع السابق، ص27 .

ملحق (05)

طارق السويدان، المرجع السابق، ص 222 .

ملحق (06)

شنت بالب . الكنيسة العظمى

محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 345 .

قائمة المصادر والمراجع

المصـادر :

01. ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة ، صححه عزت العطار الحسيني ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، 1955 .

02 . ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (ت : 578 هـ / 1183 م) : الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2، 1985 .

03 . ابن بسام أبي الحسن علي الشنتريني (ت: 542 هـ / 1146 م) : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط 1، 1979، ق 4 .

04 . ابن بشكوال : الصلة، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة .

05 . ابن بلكين عبد الله (ت : بعد 483 هـ / 1090 م) : التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، حرره على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، ط 1، 2006 .

06 . الحموي ياقوت (ت : 626 هـ / 1229 م) : معجم البلدان، دار صادر ، بيروت ، 1977 .

07 . الحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت : 488 هـ / 1095 م) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق إدارة إحياء التراث، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966 .

08. الحميري محمد بن عبد المنعم (ت : 900 هـ / 1494 م) : روض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 2، 1985 .

09. ابن حوقل أبي القاسم النصيبي (ت : 380 هـ / 990 م) : صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992 .

10. ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت 528 هـ / 1134 م) : مطمح الأنفس ومسرح التآنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، 1983 .

11. ابن الخطيب لسان الدين محمد (ت : 776 هـ / 1374) : أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف ، بيروت، 1956 .

12. ابن خلدون عبد الرحمن (ت : 808 هـ / 1406) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979 .

13. ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 3، 2006 .

14. الذهبي محمد (ت : 748 هـ / 1347 م) : سير أعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد وآخرين ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 11، 1996 .

15. ابن أبي الزرع احمد (ت : 726 هـ / 1326 م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق كارل بوحن نورنبرغ ، طبعة فاس الحجرية ، المغرب ، 1985 .

16. ابن سعيد علي (ت : 685 هـ / 1286 م) : المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1964 .

17. السلاوي الناصري(ت : 1315 هـ / 1879) : الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، مطبعة دار الكتب ، الدار البيضاء، 1954.

18. الضبي احمد (ت : 559 هـ / 1163 م) : بغية الملتمس في تاريخ رجال آهل الأندلس تحقيق ، روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1997 .

19. المراكشي ابن عذارى (ت 695 هـ / 1295 م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ط 5 ،1998 .

20. المراكشي عبد الواحد (ت : بعد 647 هـ / 1179 م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1962 .

21.المقري احمد بن محمد التلمساني (ت : بعد 1041 هـ / 1631 م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 .

22. مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، 2004 .

23. النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي المالقي الأندلسي (ت : بعد 792 هـ / 1390 م) : تاريخ قضاة الأندلس ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 1983 .

المـراجــع :

01. ادهم علي : منصور الأندلس ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

02. أرسلان شكيب : الحلل السندسية في الإخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 ، 1997 .

03. البتوني محمد لبيب : رحلة الأندلس ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة، 2012 .

04. حتاملة محمد عبده : الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية، الأردن، 2000 .

05. حتى فيليب : العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، ط 6، 1991 .

06. الحجي عبد الرحمن علي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ط 2، 1981 .

07. دوزي رينهرت : المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994 .

08. دويدار حسين يوسف : المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138 – 422 هـ ، ط1، سلسبة حسين الإسلامية، القاهرة، 1994 .

09. الزركلي خير الدين : الأعلام، دار العلم للملايين ، بيروت، ط 15، 2002 .

10. سالم السيد عبد العزيز : المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية، 1986 .

11. سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 2008 .

12. سالم السيد عبد العزيز: تاريخ مدينة الميرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1، 1969.

13. سالم السيد عبد العزيز: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997.

14. السرجاني راغب : قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 1، 2010.

15. سرور محمد جمال الدين : تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، مصر .

16. السويدان طارق : الأندلس التاريخ المصور، الإبداع الفكري، الكويت، ط 1، 2005 .

17. الشيخ محمد محمد مرسي : دولة الفرنجة وعلاقاتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر ميلادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1981 .

18. عاشور سعيد عبد الفتاح : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976 .

19. العبادي احمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت.

20. عباس إحسان : تاريخ الأدب الأندلسي " عصر سيادة قرطبة "، دار الثقافة ،بيروت ، ط 2، 1969.

21. عنان محمد عبد الله : الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997 .

22. عنان محمد عبد الله : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2 ، 1970.

23. عنان محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997، ق 2 .

24. عنبتاوي عدنان فائق : حكايتنا في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1، 1989 .

25. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ،1990 .

26. فكري احمد : قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1983 .

27. فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط 2، 1999 .

28. ليفي بروفنسال: تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية 711 – 1031 م، تعريب علي عبد الرؤوف ألبمبي وعلي إبراهيم موفي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط3، 2000 .

29. لين بول ستانلي : قصة العرب في اسبانيا، ترجمة علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر،2012 .

30. مسعد سامية مصطفى : العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية ، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الإسكندرية ، 2000 .

31. مصطفى شاكر : الأندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990 .

32. أبو مصطفى كمال السيد : دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز إسكندرية للكتاب، مصر، 1997 .

33. المنوني محمد و ابن عبود محمد وآخرون : التاريخ الأندلسي من خلال النصوص ،شركة النشر والتوزيع المدارس ،الدار البيضاء ،ط1، 1991 .

34. مؤنس حسين : أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 1، 1987 .

35. مؤنس حسين : معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، 2004 .

36. النصولي أنيس : تاريخ الدولة الأموية في قرطبة، المطبعة العصرية ، بغداد، 1926.

37. نعنعي عبد المجيد : تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت .

دوريـــات :

01. علي عمار عبد الرحمن حسين : العلاقات السياسية بين العرب المسلمين في الأندلس وممالك النصارى في الشمال، 316 – 421 هـ / 928 – 1030 م، مجلة ديالي، ع 56 .

02. لغزيوي علي : فن الوصايا على عهد الأمويين، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية، ع 233، ربيع الأول 1404 هـ/ ديسمبر 1983 م .

03. الهنداوي حسن ابن إبراهيم : الإمام ابن حزم ومنهجه في التعامل مع مختلف العلوم ومدى صلاحيتها لأسلمة المعارف الإنسانية، مجلة الإسلام في أسيا، ماليزيا، ع 2، يونيو 2011 .

رسـائل جامـعية :

01. عبد الرحمن رزقي : النظم الإسلامية في الأندلس 316 هـ – 422 هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2010 .

02. شاهين حامد إسماعيل: سهولة الانتشار في المغرب والأندلس وأثرها على الحياة السياسية والعسكرية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2012 .

03. العصيمي إيمان بنت دخيل الله : العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث هجري وحتى سقوط غرناطة ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2009 .

الفهرس

الفـــهـــرس

المقدمة ..... أ – خ

تمهيد : أوضاع الأندلس بعد تولي هشام المؤيد بالله الخلافة ..... 2 – 5

الفصل الأول : السيرة الذاتية لمحمد ابن أبي عامر

أولا : نسبه ونشأته ..... 7 – 9

ثانيا: دخوله للقصر وتدرجه في مناصب الدولة ..... 10 – 12

ثالثا : انفراده بشؤون الدولة وتسميته بالملك المنصور ..... 13 – 21

الفصل الثاني : السياسة الداخلية للحاجب المنصور

أولا : تنظيمه للجيش ..... 23 – 25

ثانيا : الوزارة في عهده ..... 26 – 27

ثالثا : سياسته في القضاء ..... 28 – 30

الفصل الثالث : السياسة الخارجية للحاجب المنصور

أولا: علاقاته مع العدوة المغربية ..... 32 – 37

ثانيا : جهاده ضد الممالك النصرانية ..... 38 – 45

ثالثا : علاقاته الدبلوماسية مع ملوك أوروبا ..... 46 – 47

الفصل الرابع : أهم المظاهر الحضارية للدولة العامرية في عصره

أولا: الحياة العلمية والأدبية ..... 49 – 54

ثانيا: الوضع الاقتصادي والاجتماعي ..... 55 – 58

ثالثا: الناحية العمرانية ..... 59 – 64

رابعا : وفاته ..... 65 – 69

الخاتمة ..... 71 – 73

ملاحق البحث ..... 75 – 80

قائمة المصادر والمراجع ..... 82 – 88

فهرس الموضوعات 89